الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 1 – بن يوسف بن خدة

الميدان: العلوم الإنسانية والاجتماعية

الشعبة: العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية

القسم: اللغة العربية والحضارة الإسلامية

مذكرة بيداغوجية في مقياس:

الأسلوبية وتحليل الخطاب

موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر

تخصص: اللغة العربية والدراسات القرآنية

يُعرض على الخبراء

إعداد الدكتورة: ياقوت بشير

السنة الجامعية:

السنة الجامعية : 1443هـ-1444هـ الموافق لـ 2024م_2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية والحضارة الإسلامية

القيد: 23/2025/ ل ع ح إ التاريخ: 2025/10/05

إفـــادة

يفيد رئيس قسم اللغة العربية والحضارة الإسلامية أن الدكتورة **ياقوت بشير**، أستاذة محاضرة بكلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1، قد كُلّفت بتدريس مقياس "**الأسلوبية وتحليل الخطاب**" (دروس) الموجّه لطلبة السنة الثانية ماستر تخصص اللغة العربية والدراسات القرآنية خلال:

- السداسي الأول 2022/2021
- السداسي الأول 2023/2022
- السداسي الأول 2024/2023
- السداسي الأول 2025/2024

وقد سُلمت هذه الإفادة للمعنية بطلب منها لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

رئيس قسم اللغة العربية والحضارة الإسلامية

رئيس قسم اللغة العربية والحضارة الإسلامية

د. علي أبراكان

جامعة الجزائر 1 - بن يوسف بن خدة

رئيس قسم اللغة العربية والحضارة الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية

عنوان الماستر:اللغة العربية والدراسات القرآنية
السداسي:الثالث
اسم الوحدة: الأساسية
اسم المادة: الأسلوبية وتحليل الخطاب
الرصيد: 04
المعامل: 02

أهداف المقرر: تمكن الطالب من التعرف على الدراسات الأسلوبية وخصائصها، امتلاك آليات تحليل الخطاب

المعارف المسبقة المطلوبة: المعلومات المحصل عليها في المواد اللغوية والمنهجية في مرحلتي الليسانس والماستر.

-محتوى المادة:

- . مفاهيم أولية
- . الأسلوبية اتجاهاتها
- . حدود ومستويات الأسلوبية
- . نظم اللغة ونظام الأسلوب
- نظرية النص
- . موقف الأسلوبية من الخطاب .
- **طريقة التقويم: امتحان 50% + متواصل 50%**

المراجع:

الأسلوبية وتحليل الخطاب منذر عياشي،
الأسلوبية وتحليل الخطاب نور الدين السيد،
الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح،
الأسلوبية والأسلوب عبد السلام المسدي،
الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

شهدت اللسانيات منذ بداية القرن العشرين تطورا سريعا نتيجة للثورة العلمية التي أحدثتها أفكار دي سوسور، وصاحب تطور نظريته اللغوية تطورا في الدراسات الأسلوبية لتصير علما مستقلا؛ ولذلك تعد الأسلوبية وليدة النظرية اللسانية الحديثة، فهي تأسست على يد شارل بالي تلميذ دي سوسور، وسعت إلى رسم حدودها في إطار منهج علمي مغاير للمناهج التي عاصرت ظهورها في النقد الأدبي، والتي كانت ترتكز في تحليلها للخطاب على السياقات الخارجة عن النصوص.

وتجدر الإشارة إلى أن رواد الأسلوبية في محاولاتهم لإرساء قواعد العلم، أظهروا عدم اتفاقهم حول تحديده وتحديد الإطار النظري الذي تتم دراسته في نطاقه، الشيء الذي أدى بالكثير من الباحثين إلى إيراد تعريفات عديدة للأسلوب في مقدمات أبحاثهم التي كانوا يعقدونها لدراسة الظاهرة الأسلوبية؛ وأما مصدر هذا التعدد، فيعزى إلى اختلاف الاعتبارات التي تقوم عليها تعاريفهم، فهي تتطلق في مجملها من عملية التواصل أو التخاطب وعناصرها، وأهمها أركانها الثلاثة: المرسِل أو المخاطِب، المرسَل أو المخاطَب، والرسالة أو الخطاب، ولكنها تختلف في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى هذه العملية. وفي ضوء ذلك، تتنوع المقاربات في الأسلوبية وتصنف حسب الركن الذي ترتكز عليه. وهو الأمر الذي ينطبق كذلك على النظريات النصية التي تهدف إلى تقديم نماذج لما ينبغي أن يقوم عليه تحليل الخطاب.

ونهدف من خلال هذه المحاضرات إلى تعريف الطلاب بمجال البحث الأسلوبي، من خلال تحديد ماهيته، وعرض أهم مبادئه ومختلف اتجاهاته، مع تقديم أهم الأفكار التي قامت عليها نظرية النص والتي تم استغلالها في تحليل الخطاب، وذلك وفقا لما تقتضيه مفردات البرنامج المقرر في مادة "الأسلوبية وتحليل الخطاب" الموجه لطلبة السنة الثانية ماستر في تخصص اللغة العربية والدراسات القرآنية..

المحاضرة الأولى:

مفهوم الأسلوب في الدراسات القديمة والحديثة

1-مصطلح الأسلوب ودلالته في الدراسات العربية القديمة:

أوردت المعجمات العربية لمصطلح الأسلوب دلالات متنوعة، نذكر من بينها بعض الدلالات التي ضمّنها ابن منظور معجمه، ومنها ما ورد في اللسان من أن مصطلح الأسلوب يطلق على السطر من النخيل وكل ما هو ممتد من الطريق، فهو" الطريق والوجه والمذهب، ... ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه"[1].

وفضلا عن الدراسات المعجمية، استعمل العرب القدماء لفظ الأسلوب بوصفه الطريقة المخصوصة في النظم في معرض مباحثهم لإعجاز القرآن، وذلك في موازناتهم بين أسلوبه وغيره من أساليب أجناس الكلام البشري، نذكر من بينهم ابن قتيبة والخطابي والباقلاني؛ ومما ورد في هذا السياق حديث الباقلاني: "...وذلك أن نظم القرآن ...خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد."[2]

وشهد التراث البلاغي تداولا لمصطلح الأسلوب، وعرّفه عبد القاهر الجرجاني على أنه: "الضرب من النظم والطريق فيه"[3]. وتميز الجرجاني بربطه بين النظم ومعاني النحو، حيث يقول: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو."[4]

وعرف ابن خلدون الأسلوب باعتباره منوالا تنسج فيه التراكيب أو قالبا تفرغ فيه، وهو يرى أنه "لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه

---

[1]- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ط1، مج 1، دار صادر، بيروت، 1955، ص443.

[2] -الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة-بيروت، 1421هـ، 2001م، ص35.

[3] - الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1404هـ، ص469.

[4] -المصدر نفسه، ص81.

الذي هو وظيفة العروض،"[5] فصناعة الشعر أو شاعرية الشاعر لا تقوم على مجرد إدراك هذه العلوم؛ وإنما يرجع الأسلوب إلى "صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصّها فيه رصا، كما يفعل البناء في القالب والنساج في المنوال، حتى يتسع القالب محصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من. الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة "[6]

فالأسلوب إذ ن حسب ابن خلدون هو ملكة تطبع الذوق تحصل بالاطلاع والتدرب على قراءة نماذج أدبية متميزة، وتتشكل بموجبها صور نموذجية للأساليب في الذهن، تمثل قوالب يتم استحضارها لتصب فيها التراكيب التي يتم اختيارها بما يوافق قواعد التركيب والاستعمال، ويحقق القصد من الكلام، فضلا عن ملاءمة فن القول. ويقترب منحى ابن خلدون السابق في تحديده لمفهوم الأسلوب من منحى الدارسين المحدثين كما سيتضح لنا لاحقا.

2-مصطلح الأسلوب ودلالته في الدراسات الحديثة:

تداول الأوروبيون لفظة الأسلوب منذ عهد أرسطو، فقد تحدث في كتابه "الخطابة" عنه، وقسمه إلى أسلوب متصل وأسلوب دوري، كما أنه فرق بين الأسلوب الجميل والأسلوب القبيح. واشتقت كلمة "style في اللغات الأوروبية من الجذر اللغوي "stylus " الذي يعني "ريشة" أو "القلم" في الأصل، ثم استعمل مجازا للدلالة على طريقة الكتابة، حيث ارتبط بطريقة الكتابة اليدوية (المخطوطات). وأطلق في وقت لاحق على التعبيرات اللغوية الأدبية، وصار يعني الطريق الخاص لاستعمال اللغة المميز للكاتب أو الخطيب[7].

وتم إدراج مصطلح الأسلوب في الدرس النقدي الألماني منذ أوائل القرن التاسع عشر في معجم جريم (Grimm). ويعود أول ظهور للفظة الأسلوب بوصفها مصطلحا في اللغة الإنجليزية حسب ما

[5] -ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ، ص570.

[6] -المصدر نفسه، ص570.

[7] - فضل صلاح ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، ط1، دار الشروق، مصر، 1998، ص 93.

ورد في قاموس أكسفورد إلى سنة 1846م، في حين وردت في القاموس الفرنسي للمرة الأولى عام 1872م.[8]

ويجمع الباحثون المحدثون على أن الأسلوب من أهم المقولات التي توجد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما، وذلك بالرغم من عدم اتفاقهم على تحديده وتحديد الإطار النظري الذي تتم دراسته في نطاقه، الشيء الذي أدى بالكثير من الباحثين إلى إيراد تعريفات عديدة للأسلوب في مقدمات أبحاثهم التي كانوا يعقدونها لدراسة الظاهرة الأسلوبية.

وما من شك أن مصدر هذا التعدد في التعريفات يكمن في اختلاف الاعتبارات التي تقوم عليها، فهي تتطلق في مجملها من عملية التواصل أو التخاطب وعناصرها، وأهمها أركانها الثلاثة: المرسِل أو المخاطِب، المرسَل أو المخاطَب، والرسالة أو الخطاب، ولكنها تختلف في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى هذه العملية. وفي ضوء ذلك، تتنوع المقاربات وتصنف حسب الركن الذي ترتكز عليه، وبالنظر إلى ذلك، يمكن أن نميز في تعريف الظاهرة الأسلوبية بين مقاربات ثلاث، نعرضها فيما يلي:

1.2-الأسلوب باعتبار المرسِل أو المخاطِب:

تعرّف طائفة من الباحثين الأسلوب باعتبار منشئه، وهو يعني وفقا لهذا الاعتبار التعبير الذي يكشف نمط التفكير عند صاحبه، ولذلك تداول أنصار هذا المنحى مقولة بيفون " Buffon" الشهيرة، والتي مفادها أن "الأسلوب هو الرجل نفسه". ويتجلى ذلك بوضوح في قوله:" إن المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى بسهولة، وقد تنتقل من شخص لآخر، ويكتسبها من هم أعلى مهارة، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير"[9]. والأسلوب وفقا لهذا المنحى يتسم بالفردية، فهو " صورة خاصة بصاحبه تبيّن طريقة تفكيره، وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعاله، فالذاتية هي أساس تكوين

[8] -ا فضل صلاح، المرجع السابق، ص94.

[9] – المرجع نفسه، ص95-96.

الأسلوب".[10] وهو على هذا الأساس لا يمكن الفصل بينه وبين منشئه، إنه لصيق به، يعبر عن شخصيته وخصائصه النفسية، وهذا البعد هو الذي يضفي على الأساليب سماتها التمييزية، ويكسبها طابع التفرد.

2.2-الأسلوب باعتبار المرسَل إليه أو المخاطَب:

تهتم هذه المقاربة بردود أفعال المتلقي، وذلك باعتبار "الظاهرة الأدبية وليدة مباشرة القارئ للنص."[11] ويعرف الأسلوب وفقا لذلك بسمات النص التي تترك أثرها على متلقيه، فهو -كما يستخلص من آراء شارل بالي " Charles Balley "-يكمن في جملة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع أو القارئ. ويرى بيير جيرو " Pierre Guiraud" أن الخطاب يتلوّن بأصباغ قصد التوصل إلى إثارة القارئ، شد انتباهه، إقناعه وإمتاعه.[12] ويذكر ميشال ريفاتير " Michel Riffaterre"أن هذه العناصر التي يعمد إبرازها في النص لشد الانتباه، تكتسب دلالات تمييزية عند تمكن القارئ من تحليلها، أما في حالة إغفاله عنها، فمصير النص التشويه.[13]

وفي ضوء ما سبق، يبدو تركيز أصحاب هذه المقاربة على المتلقي والدور الهام المنوط به لبلوغ الهدف من عملية التواصل. فمن دون وجود قارئ، لا يمكن الحديث عن تحقق الإبلاغ والتوصيل، ناهيك عن الإفهام والتأثير؛ إنه "الحكم على الجودة أو الرداءة وهو الفيصل في قبول النص أو رفضه"[14].

3.2-الأسلوب باعتبار الرسالة أو الخطاب:

يتمثل الأسلوب بالنظر إلى نص الرسالة أو الخطاب في مجموعة الظواهر اللغوية المختارة التي تشكل عدولا، وفيما يتصل بها من إيحاءات ودلالات.

---

[10] -الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م، ص134.

[11] – الطرابسي محمد الهادي، بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1988، ص19.

[12] -المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، بيروت، (د.ت)، ص83.

[13] -المرجع نفسه، ص83.

[14] -فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص21.

وتعريف الأسلوب بوصفه مجموعة من الظواهر اللغوية يعني أنه كامن في النص ويبرز في عناصره، وهذه مقاربة للأسلوب من منظور لساني، وهي ترتكز على فكر دي سوسور الذي من جملة ما ينص عليه أن اللغة تدرس في ذاتها ولذاتها، كما أنه ميّز بين اللغة والكلام. وفي ضوء ذلك، يتحدد الأسلوب بوصفه "العلاقة المميزة لنوعية الكلام داخل حدود الخطاب: وتلك السمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض ومن ذلك كله تتكون البنية النوعية للنص وهي ذاته أسلوبه"[15]. وهو " موجود في ذاته يمتد حبل التواصل بينه وبين لافظه ومحتضنه لا شك ولكن دون أن تعلق ماهيته على أحد منهما"[16].

وكون العناصر الموظفة في النص مختارة يعني أن منشئه يختار من بين الإمكانيات اللغوية المتاحة عناصر ويؤثر استعمالها، وفي المقابل يستغني على أخرى تعد بدائل لها ويمكن أن تقوم مقامها. فالاختيار "هو استعمال خاص للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانات والاحتمالات المتاحة والتأكيد عليها في مقابل إمكانات واحتمالات أخرى"[17].

أما كون مجموعة الظواهر اللغوية المختارة تشكل عدولا، فهذا يعني أن النص الأدبي يشكل انزياحا بالنسبة للنص العادي، ويتحدد الأسلوب من هذا المنظور بكونه "الوظيفة المركزية المنظمة لذلك النص خطابا تركب في ذاته ولذاته"[18].

وبعد استعراض وجهات نظر الدارسين وتعاريفهم للأسلوب باعتبار المخاطِب أو المخاطَب أو الخطاب، تجدر الإشارة إلى أن تعريف الظاهرة الأسلوبية قد يعتمد فيه على إحدى الاعتبارات الثلاثة السابقة، كما قد يراعى فيه أكثر من اعتبار. ونناقش فيما يلي ما ترتب عن اختلاف الباحثين في تعريف الأسلوب في تحديد ماهية الأسلوبية.

---

[15] - المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص90.

[16] –المرجع نفسه، ص88.

[17] – مصلوح سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص33.

[18] – عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989، ص28.

المحاضرة الثانية:

الأسلوبية، مفهومها واتجاهاتها

1-تعريف الأسلوبية:

يعد مصطلح "الأسلوبية" المقابل العربي للفظ (stylistique)، كما أن مصطلح "علم الأسلوب" ترجمة للفظ (la science de style). ويذكر عبد السلام المسدي رائد الأسلوبية العربية أن المصطلح مركب من جذع ولاحقة. يتمثل الجذع في لفظ "أسلوب"(Style) ، وهو ذو مدلول إنساني ذاتي، ولذلك فهو نسبي، وقد اشتق من أصل لاتيني معناه "قلم". وتتمثل اللاحقة في لفظة "ية" (ique)، وهي تختص بالبعد العقلي العلمي، وهو بعد موضوعي. ومنه فالأسلوبية تهتم بالبحث عن الأسس الموضوعية الكفيلة بإرساء علم الأسلوب،[19] وتتوخى من المناهج العلمية وخاصة المنهج اللساني مرتكزا لسبر أغوار الخطاب والنفاذ إليه بعمق قصد تحليله وكشف الخصائص الكامنة فيه، والتي تميزه عن غيره من الخطابات، وتوظف لتحقيق أهدافها وسائل وأدوات متنوعة.

2-اتجاهات الدراسات الأسلوبية:

ظهرت الأسلوبية وتحدد مجالها المفهومي في بداية القرن العشرين، وتزامن ذلك "مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة، التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علما يدرس لذاته، أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي، أو التحليل النفسي، أو الاجتماعي، تبعا لاتجاه هذه المدرسة أو تلك".[20]

ولكن رواد البحث الأسلوبي في محاولاتهم إرساء دعائم العلم الجديد وتثبيت أركانه، أوردوا لمصطلح الأسلوبية تعاريف اتسمت بالتنوع والتعدد تعكس اختلاف مشاربهم وانتمائهم الفكري. ويعد هذا التنوع الذي شهده تعريف هذا المصطلح تابعا لتنوع تعاريف مصطلح الأسلوب ذاته.

ولعل أول تعريف يجدر ذكره في هذا السياق، وفي مقاربة شمولية هو التعريف الذي ورد عن شارل بالي مؤسس الأسلوبية نفسه، حيث يرى أن الأسلوب هو" تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم

---

[19] – المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص33-34.

[20]– أبوالعدوس يوسف، الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان-الأردن، 2007، ص39.

اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي، إلى حيز الموجود اللغوي"[21]، بينما يرى أن الأسلوبية تسعى إلى "إقامة ثبت لجملة من الطاقات التعبيرية الموجودة في اللغة بقوة".[22]ونستخلص من التعريف السابق أن الأسلوب هو استعمال للغة، وأن الأسلوبية تهدف إلى تقعيد ذلك الاستعمال وتقويمه بالنظر إلى إمكانات اللغة وطرائقها المتاحة للتعبير؛ وبتعبير آخر، تكمن مهمة أسلوبية بالي في" دراسة القيمة الأسلوبية للأدوات التي يستخدمها التفكير ليعبر عن نفسه. وتتجلى مهمة النقد الأسلوبي في تقويم الطريقة التي يعتمدها مستعمل الخطاب في استخدام المصادر الأسلوبية للغة."[23]ويفترض مفهوم القيمة الأسلوبية "وجود عدد من الطرق للتعبير عن الفكرة نفسها. وهذا ما نسميه بالمتغيرات الأسلوبية التي تشكل كل واحدة طريقة خاصة للتعبير عن المفهوم ذاته."[24]

وما من شك أن بلوغ الهدف السابق يقتضي أن تجد الأسلوبية لنفسها منهجا علميا مغايرا للمناهج التي عاصرت ظهورها في النقد الأدبي، والتي كان مرتكزها السياقات الخارجة عن النصوص، فضلا عن سيطرة التحليل الذاتي في النقد التقليدي. وفي ضوء ما سبق، تتحدد ماهية الأسلوبية–كما عرفها عبد السلام المسدي انطلاقا مما أقره الدرس الحديث–على أنها:" علم تحليلي تجريدي، يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل إنساني عبر منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك الألسني ذا مفارقات عمودية."[25]

وفضلا عن التعريفات السابقة التي تكتسي طابعا تأصيليا شموليا، فثمة تعريفات أخرى تشير إلى تشعب مجال الدراسة الأسلوبية، نذكر منها تعريف منذر عياشي الذي عرف الأسلوبية بأنها:" علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها–أيضا–علم يدرس الخطاب موزعا على مبدأ هوية الأجناس. ولذا كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات." [26] وما من شك أن هذا التعدد والاختلاف والتنوع الذي يميز موضوع الأسلوبية مع

---

[21] – المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص89.

[22] –ينظر: المرجع نفسه، هامش الصفحة 89.

[23] – جيرو بيير، الأسلوبية، تر: عياشي منذر، مركز الإنماء الحضاري، ط2، 1994، ص73.

[24] –المرجع نفسه، ص52–53.

[25] –المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص33.

[26] –عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ–2015م، ص25، أو: مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق—سوريا، ط1، 1990، ص65.

طموحها إلى انتهاج المنهج العلمي في معالجة قضاياه، هو الذي أدى إلى تعدد "مدارسها ومذاهبها"[27]، وهو الشيء الذي انعكس كذلك في محاولات العلماء للتعريف بهذا العلم.

ويمكن إجمالا تصنيف تعاريف الأسلوبية وحصرها على اختلاف اتجاهاتها وفقا للاعتبارات الثلاثة التي تم وفقها تعريف الأسلوب، وهي: المخاطِب والمخاطَب والخطاب، حيث يمكن التمييز بين اتجاهات ثلاث اهتمت بحد الأسلوبية، نعرضها فيما يلي:

1.2-الاتجاه الأول:

وهذا الاتجاه يحيل إلى الترابط بين النص ومنشئه، وتعود فكرة الاهتمام بالكاتب في تحليل الخطاب إلى دوره في الاختيار من الإمكانات اللغوية المتاحة العناصر التي يوظفها في مختلف المواقف التعبيرية. وفضلا عن ذلك، فإن " الصورة اللفظية التي هي أول ما يلقى من الكلام، لا يمكن أن تحيا مستقلة، وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي، انتظم وتألف في نفس الكاتب، أو المتكلم؛ فكان بذلك أسلوبا معنويا، تكوّن التأليف اللفظي على مثاله، وصار ثوبه الذي لبسه، أو جسمه، إذا كان المعنى هو الروح."[28]

ويستمد التحليل الأسلوبي إطاره النظري وفقا لهذا المنظور من مقولة بيفون ومن حذا حذوه في تعريف الأسلوب مثل: فلوبير وشوبنهاور وماكس جاكوب وبروست؛[29] ولأن الأسلوب حسبهم هو الرجل، وعن طريقه يمكن النفاذ إلى نمط تفكير الكاتب، فإن الأسلوبية تهتم بدراسة " معتقد الكاتب، ونظرته إلى القضايا، وانفعالاته".[30]

2.2--الاتجاه الثاني:

يولي أصحاب هذا الاتجاه الذي من رواده ريفاتير وجاكبسون[31] أهمية لدور المتلقي في عملية توصيل الخطاب، وهو يشكل بذلك مرتكزهم في تحليله، وفي تحديد الإطار المفهومي للأسلوبية. وكما

---

[27] - منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص25.

[28] -الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط12، 2003، ص40.

[29] -عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص31.

[30] - النحوي عدنان علي رضا محمد، الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2003، ص65.

[31] - المرجع نفسه، ص67.

يعد الأسلوب من هذا المنظور قوة ضاغطة على المتلقي أبرز عناصرها التأثير والإقناع والإمتاع[32]، فإن الأسلوبية تهتم بدراسة التأثيرات التي تحدثها هذه القوة فيه. وفي ضوء ما سبق، فإنه "يمكن إدماج القارئ في النظرية الأسلوبية كمتلق يعتد بدوره في تحديد التأثير داخل عملية التواصل الأدبي."[33]

وفكرة التأثير هذه تبلورت في أسلوبية بالي الذي يرى أن "أصل الأسلوب هو إضافة ملمح تأثيري إلى التعبير، ولا شك أن هذا الملمح التأثيري ذو محتوى عاطفي"[34]، وعرف "سيدلير seidler" الأسلوب والأسلوبية معتمدا على هذا المحتوى وباعتبار وجهة نظر المتلقي، حيث يقول: "الأسلوب هو طابع العمل اللغوي وخاصيته التي يؤديها، وهو أثر عاطفي محدد يحدث في نص ما بوسائل لغوية، وعلم الأسلوب يدرس و يحلل وينظم مجموعة الخواص التي يمكن أن تعمل-أو تعمل بالفعل-في لغة الأثر الأدبي، ونوعية تأثيرها، والعلاقات التي تمارسها التشكيلات الفعالة في العمل الأدبي."[35]

3.2-الاتجاه الثالث:

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن محط الاهتمام في الظاهرة الأسلوبية هو الخطاب، فهم يرون- كما يرى بالي نفسه -أن "الأسلوب هو الاستعمال ذاته،"[36]ونظرتهم هذه تستمد مرجعيتها من مبادئ النظرية اللسانية البنوية التي أقام صرحها دي سوسور. والأسلوبية من هذا المنظور "تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب، طالما أن جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغاته الإبلاغية."[37]وتدرّج هذ التوجه اللساني في تطوره ليتخصص "بالبحث عن نوعية العلاقة الرابطة بين حدث التعبير ومدلول محتوى الصياغة."[38]

وأما عن علاقة هذا الاتجاه بأنماط الخطاب، فتجدر الإشارة أن الأسلوبية في مقاربتها اللسانية تهتم بمعالجة الخطاب التعبيري العادي، مثلما تهتم بمعالجة الخطاب الفني الأدبي، فكما "أن اللغة ليست

---

[32] - عبد الجواد إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1996، ص42.

[33] – فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص97.

[34] -المرجع نفسه، ص97.

[35] – فضل صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص97.

[36] -المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص 89.

[37] -المرجع نفسه، 34-35.

[38] -المرجع نفسه، ص35.

حكرا على ميدان إيصالي دون آخر فإن علم الأسلوب ليس حكرا–هو أيضا–على ميدان تعبيري دون آخر."[39]

وفي ضوء ما سبق، تكمن وظيفة الأسلوبية وتتحدد ماهيتها بأنها "علم نحوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميزه عن غيره، إنها تتحرى الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية العلمية اللغوية وتعتبر الأسلوب ظاهرة هي في الأساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاتها."[40]

وعند ما يتعلق الأمر بتحليل الخطاب الفني على وجه الخصوص، يعرف جاكبسون النص الأدبي " بكونه خطابا تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام،"[41] ويتعين بذلك مفهوم الأسلوب عنده –كما سبق الذكر– أنه "الوظيفة المركزية المنظمة،"[42] كما يتعين عنده مفهوم النص بكونه "خطابا تركب في ذاته ولذاته."[43]و ينتج الأسلوب حسب جاكبسون عن "تطابق لجدول الاختيار على جدول التأليف،"[44] حيث يتحدد بتوافق عمليتين: عملية اختيار المتكلم من الرصيد المعجمي للغة لأدوات التعبير، وعملية تأليف هذه الأدوات فيما بينها في السياقات الكلامية، وذلك وفقا لما تقتضيه قواعد النحو في بعضها، ولما تسمح به سبل التصرف في الاستعمال في بعضها الآخر.

ويترتب عن آراء جاكبسون السابقة فيما يتعلق بمجال البحث الأسلوبي أمران:

1–تبحث الأسلوبية عن مميزات الكلام الفني في مقابل باقي مستويات الخطاب الأخرى أولا، وتعنى بسائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا.[45] وفي سبيل تحقيق الهدف الأول، فإن وظيفة التحليل الأسلوبي

[39]-عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص25.

[40] – بن ذريل عدنان، اللغة والأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق–سوريا، ط1، 1980، ص140.

[41] – المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص92.

[42] –المرجع نفسه، ص92.

[43] – المرجع نفسه، ص93.

[44] – المرجع نفسه، ص96.

[45] – المرجع نفسه، ص37.

هي الكشف عن السمات اللغوية التي تجعل النص ينتقل من سياق الإخبار ليكتسب وظيفة تأثيرية وجمالية.[46]

2-التحليل الأسلوبي "لا يعدو أن يكون تفكيكا للعناصر المكوّنة لجهاز الإبلاغ لتتبع ما يحدث بينها عند التفاعل وما ينقطع عند الانفصال وذلك بطريق العزل والضم حتى تتجلى المفارقات والمقاربات اختياريا."[47]

إن الدراسة التحليلية للمفاهيم التأصيلية لمصطلح الأسلوبية ومناقشتها في ضوء المفاهيم التي حدد من خلالها موضوع بحثها: الأسلوب، تبين بوضوح أن المفاهيم التي أفردت لتحديد العلم اتسمت بالتنوع والتعدد، وهي بذلك تعكس من دون شك اختلاف مشارب الباحثين الدارسين وانتمائهم الفكري، ولكنها في الوقت ذاته تعكس ارتباط العلم بموضوع درسه. إن التنوع الذي شهده تعريف مصطلح الأسلوبية مرده تنوع تعاريف مصطلح الأسلوب ذاته.

وتجدر الإشارة إلى أن كل الاتجاهات الدرس الاسلوبي باعتبارها تأثرت بالنظرية اللسانية الحديثة، تنطلق من النص أو الخطاب وليس من عوامل أخرى خارجة عنه، مثلما كانت المناهج التقليدية التي سادت قبلها أو عاصرتها، وهي تهتم به بوصفه يمثل انزياحا بالنسبة إلى نماذج أخرى.

وإنما تختلف هذه الاتجاهات في الزاوية التي تنظر من خلالها إلى الأسلوب والتي تتحدد من خلالها ماهية الأسلوبية واتجاهاتها. فحينما تنظر إلى الأسلوب من جهة مبدع الخطاب، تهتم الاسلوبية بالبحث عن السمات الاسلوبية التي تبرز مكنونات شخصيته، والتي تشكل عوامل تفرده، وهي تحيل بذلك إلى دوره في الاختيار من الإمكانات اللغوية المتاحة العناصر التي يوظفها في مختلف المواقف التعبيرية؛ وعندما تعنى بالمتلقي، يتجه البحث إلى دراسة التأثيرات التي يحدثها الأسلوب فيه باعتباره قوة ضاغطة عليه أبرز عناصرها التأثير والإقناع والإمتاع؛ وأما عندما يكون محط الاهتمام هو الخطاب نفسه، فالمعتبر هو البعد اللساني، وبذلك يكون التركيز على بنيته وصياغته باعتبارها الوسيلة التي تتيح النفاذ إلى جوهر الأثر الأدبي.

[46] – المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص36.

[47] – المرجع السابق، ص93.

المحاضرة الثالثة:

الأسلوبية، نشأتها وتطورها

1-نشأة الأسلوبية::

1-النشأة:

يعد نوفاليس (Novalis) أول من استخدم مصطلح الأسلوبية، وهي حسبه تمتزج بالبلاغة، وصرح من بعده (هيلانغ) عام 1837م بأن الأسلوبية علم بلاغي[48]، وفي عام 1875م أطلق (فون درجبلنتس) مصطلح الأسلوبية على الدراسات التي تعنى بالأسلوب من خلال ما تزخر به عليه الكتابة الأدبية من انزياحات لغوية وبلاغية.[49]

وصرح العالم الفرنسي "جوستاف كويرتنج" عام 1886 م بأن علم الأسلوب الفرنسي ميدان شبه مهجور تماما حتى ذلك الوقت، ويرجع ذلك إلى سيطرة المناهج التقليدية واقتصار مؤلفي الرسائل عليها عند تصنيفهم للوقائع الأسلوبية التي تشد انتباههم. ويشير كويرتنج إلى كون "الهدف الحقيقي لهذا النوع من البحث ينبغي أن يكون أصالة هذا التعبير الأسلوبي أو ذاك، وخصائص العمل أو المؤلف التي تكشف بنفس الطريقة عن التأثير الذي مارسته عن الأوضاع، وشذ ما ترغب في أن تشغل هذه البحوث أيضا بعض العصور والأجناس على الأسلوب، وبالعلاقات الداخلية لأسلوب بعض الفترات بالفن، وبشكل أسلوب الثقافة عموما".[50]ويعد هذا التنبيه إيذانا بميلاد علم الأسلوب أو الأسلوبية، فلم يكتف فيه كويرتنج بحث الباحثين عن تجاوز المناهج التقليدية في تتبع الظاهرة الأسلوبية، بل أشار كذلك على الإجمال إلى ما ينبغي أن يشّكل اهتمامات هذا العلم ومجالاته.

ولم تتضح معالم الأسلوبية في الفترة السابقة، ولكن في بداية القرن العشرين تضافرت جملة من العوامل التي أدت إلى ظهور الإرهاصات الأولى في مجال الدراسات الأسلوبية ومهدت الطريق أمام نوع من الاستثمار اللساني للمدونة الأدبية. وتعد أفكار دوسوسور(1857-1913م) وثورته البنيوية النواة التي انطلق منها الدرس الأسلوبي الحديث بمختلف اتجاهاته. ولذلك يقال:" إذا كانت ألسنية سوسير قد

---

[48] بيير جيرو، الأسلوبية، مرجع سابق، ص 09.

[49] عدنان بن ذريل، اللّغة و الأسلوب، مرجع سابق، ص 131.

[50] فضل صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، مرجع سابق، ص16-17.

أنجبت أسلوبية بالي، فإن هذه الألسنية نفسها قد ولدت الهيكلية التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبا معا شعرية "جاكبسون" وإنشائية "تودوروف" وأسلوبية "ريفاتير"."[51]

فالأسلوبية نشأت نتيجة تطور الدراسات اللغوية الحديثة، ومن خلال ما طرح فيها من أفكار جديدة أسهمت في إرساء هياكلها، ولعل من بين الأفكار المهمة التي أسهمت في نشأة هذا العلم التمييز بين مصطلحي الكلام واللغة، والاهتمام بأسباب الاختلاف في استعمال اللغة. ومهدت أفكار دوسوسور السبيل لتأسيس الأسلوبية وإرساء قواعدها، وتحددت بدايتها بأعمال تلميذه شارل بالي (1865 – 1947) الذي سعى إلى تمييزها عن مناهج الدراسات الأسلوبية النقدية القديمة، فأصدر عام 1902م كتابه الموسوم ب: (في الأسلوبية الفرنسية)، كما أصدر عام 1905م كتابه (المجمل في الأسلوبية). وقد تميّزت مقاربته للظاهرة الأسلوبية ا بحصر اهتمامه في الجانب الوجداني للغة، وبالتالي جانبها التعبيري. [52]

فلم تخرج الأسلوبية عند بالي عن علم اللغة كثيرا، ففي البداية شرح مفاهيم أستاذه في اللسانيات، ثم تفرغ بعد ذلك لدراسة الأسلوب. وركز في مؤلفه "في الأسلوبية الفرنسية" على الأسلوبية النفسية والوجدانية والتعبيرية واللغوية، والتي عرفها على أنها دراسة قضايا التعبير عن قضايا الإحساس وتبادل التأثير بين الإحساس والكلام.

ومر الدرس الأسلوبي في مسار تطوره بعدة مراحل، وتميزت بداية نشأته بظهور اتجاهين فكريين متمايزين، فانقسمت الأسلوبية بموجبهما إلى قسمين:

- أسلوبية التعبير، وتهتم بدراسة علاقة الشكل مع التفكير.
- أسلوبية الفرد، وتهتم بدراسة علاقة التعبير مع الفرد والمجتمع.

وأما عن أوجه الاختلاف بين الاتجاهين، فيقول بيير جيرو: "إن أسلوبية التعبير لا تخرج عن إطار اللغة أو عن الحدث اللساني المعتبر لنفسه. بينما تدرس الأخرى هذا التعبير نفسه إزاء المتكلمين

[51] المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص51.

[52] عدنان بن ذريل، اللّغة و الأسلوب، المرجع السابق، ص 131- 132.

...وتنظر الأولى إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي، وبهذا تعتبر وصفية، وتحدد الثانية الأسباب، وبهذا تعتبر تكوينية. ولذا كانت الأولى أسلوبية للأثر وتتعلق بعلم الدلالة أو بدراسة المعاني، بينما الثانية أسلوبية للأسباب وتنتسب إلى النقد الأدبي."[53]

2-مسار تطور الدراسات الأسلوبية واتجاهاتها:

مرت الأسلوبية بفترة من الركود كادت معها أن تتلاشى ، ولكن ابتداء من سنة 1960، بدأت تستعيد نشاطها، حيث انعقدت في تلك السنة ندوة عالمية عن "الأسلوب" بجامعة "آنديانا" الأمريكية، وشارك فيها جاكبسون بتقديمه محاضرة حول اللسانيات والإنشائية، وبشر حينذاك بسلامة بناء الجسر الرابط بين اللسانيات والأدب.

وفي عام 1965، تعزز البحث اللساني بعد أن قام "تودوروف" بإصدار أعمال الشكلانيين الروس مترجمة إلى الفرنسية، فخطا بالأسلوبية خطوة كبيرة تجاوز من خلالها حدودها اللغوية التي تتعامل مع الألفاظ والتراكيب، ليصلها بالسياق العام وعلاقته بالعالم الخارجي والظروف التي يمكن أن تفسر تلك التراكيب اللغوية.

وكان من نتائج هذا التطور في الدرس الأسلوبي أن صرح "ستيفن أولمان" سنة 1969 قائلا : " إن الأسلوبية اليوم هي من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردد، ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي واللسانيات معا "[54]. وفي السنة نفسها ازداد النقاد والأدباء وعلماء اللسان اهتماما بالأسلوبية، ويتضح ذلك من خلال البحوث الكثيرة التي أنجزت حولها. وأصبحت الأسلوبية علما قائما بذاته. وقد زالت الشكوك حول شرعية وجودها .

وخطا الدرس الأسلوبي خطوة كبيرة أخرى بظهور الأسلوبية البنيوية، فقد أصدر (ميشال ريفاتير) عام 1971م كتابه في الأسلوبية البنيوية، أبرز من خلاله أن "الأسلوب هو العلامة المميزة للقول،

[53] بيير جيرو، الأسلوبية، مرجع سابق، ص46

[54] المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ص24.

داخل حدود الخطاب... وأن البنية النوعية للنص هي نفسها أسلوبه، فاللّغة (تعبر) ولكن الأسلوب(يبرز)"[55]. وواكبت البحوث الأسلوبية التطور الذي شهدته اللسانيات في انتقال مجال دراستها من الجملة إلى النص، ويقول في ذلك بيير جيرو: "الأسلوبية مضطرة أن تماشي هذا التطور وأن تكون أسلوبية للخطاب، وأن تتعدد وفقا للأجناس الأدبية نفسها الرواية والقصة، والشعر إلى آخره. ويدل على هذا أنها حين تدخل كل مجال من هذه المجالات فإنها ستقارب النص من خلال جنسه الأدبي ...وهنا سترى أمامها أنواعا أخرى من الدراسات ستتداخل معها كلسانيات النص والشعرية، والتناص، إلى آخره."

ويكمن الفرق بين اللسانيات والأسلوبية في كون "اللسانيات تعنى بالتنظير إلى اللغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة، وأن الأسلوبية تتجه إلى المحدث فعلا، وأن اللسانيات تعنى باللغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها، وأن الأسلوبية تعنى باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي مباشرة".[56]

والتفت الباحثون العرب المعاصرون إلى الأسلوبية في حدود منتصف القرن العشرين، وذلك عندما أصدر أحمد الشايب مؤلفه "الأسلوب" ، وأصدر بعده محمد كامل جمعة مؤلفا بالعنوان نفسه، وتواصلت حركة التأليف في هذا المجال، كما قام بعض الباحثين بترجمة الكتب الغربية. ويعد عبد السلام المسدي صاحب مؤلف "الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني للنقد الأدبي" أول من نقل مصطلح "الأسلوبية" إلى اللغة العربية عن نظيره في الفرنسية "stylistique" . وهو يرى أن الأسلوبية علم مستقل له أسسه ووسائله. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المجال من البحث استقطب اهتمام الكثير من الدارسين العرب، ولكن على الرغم من تعدد مؤلفاتهم، إلا أن أبحاثهم لم تخرج عن نطاق دراسات نظرائهم الغربيين.

[55] عدنان بن ذريل، اللّغة و الأسلوب، ص133.

[56] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص09.

المحاضرة الرابعة:

علاقة الأسلوبية بالبلاغة

يرى علماء البلاغة والأسلوبية أن ثمة علاقة وطيدة بين العلمين، فهما يشتركان في جانب من البحث تجدر دراسته والاستفادة منه، ويذكرون بشكل خاص ما يسمى بالحزمة الأسلوبية التي تتمثل في مؤشرات دالة تتداخلها الصور البلاغية والذوق الجمالي. ويرى الدارسون أن "الانحرافات التي في النسيج الكتابي الأدبي للنص هي التي تعكس هذه المؤشرات الدالة، وحزمتها الأسلوبية"[57]، وتبرز بذلك مجالات علمي البلاغة والأسلوبية، وتتجلى في المؤلفات الأدبية آثار كل منهما.

ويقرر بيير جيرو في حديثه عن العلاقة بين العلمين أن الأسلوبية وريثة البلاغة، فهي بلاغة حديثة تتسم بكونها علم التعبير ونقد الأساليب الفردية، ولذلك تحظى بوظيفة مزدوجة تتمثل في الكشف عن جماليات التعبير الأدبي ونقد تلك الأساليب.

فالأسلوبية تستنطق النصوص، وتكشف عن خصوصيتها، وبالتالي تفردها، بينما تنطلق البلاغة من قواعدها لتكشف عن حقيقة هذا التفرد من خلال الانحرافات التي تنطوي عليها النصوص المحللة.

وتتضح علاقة البلاغة بالأسلوبية من خلال عرض أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما:

أولا: ما يتفق فيه العلمان:

1-كلا العلمين نشأ من علم اللغة، وهما شديدا الارتباط به، فالبلاغة علم لغوي قديم والأسلوبية علم لغوي حديث.

2-ينتميان إلى قطاع درس واحد، وهو اللغة والأدب.

3-يعتبر بعض العلماء البلاغة أصلا للأسلوبية (وريثتها).

[57] بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، دار القدس العربي،2014، ص142-143.

4-استفادت الأسلوبية كثيرا من المباحث البلاغية: علم المعاني والمجاز والبديع، فضلا عما يتعلق بالموازنات بين الشعراء وأساليبهم الفردية.[58]

5- يلتقي علم البلاغة مع الأسلوبية في أهم مبدأين فيها، وهما العدول والاختيار.

6-يذكر عدنان بن ذريل أن موضوع البلاغة -بالرغم اتجاهها المعياري-"متطابق مع موضوع (الأسلوبية)، في بحثها الجوانب المختلفة لتعبيرية الخطاب الأدبي، خاصة النفسية، والفنية. ناهيك بأن التجربة التاريخية دلت على أن (الأسلوبية) لا تتعارض مع النقد الأدبي، أو البلاغة.. وإنما على العكس، هي تتسع لهما، وتعتمد عليهما، الأمر الذي يظل يكسب الاتجاه النقدي، والبلاغي في الأسلوبية مشروعيته..."[59].

6-تقوم البلاغة على مراعاة مقتضى الحال، وتعتمد الاسلوبية على الموقف، وهما مصطلحان متقاربان.

ثانيا: ما يختلف فيه العلمان:

1-يختلف العلمان في المنهج الذي يعتمدانه في دراسة الظاهرة الأسلوبية، فعلم البلاغة علم قديم يدرس مسائله بعيدا عن الزمن والبيئة، بينما الأسلوبية علم حديث ينتهج في دراسة موضوعاته طريقتين:

-طريقة أفقية، إذ يدرس علاقة الظواهر بعضها ببعض في زمن واحد.

-طريقة رأسية، حيث يمكن أن يدرس الظاهرة الواحدة في تطورها عبر العصور.

3-تتمثل مادة الدراسة في البلاغة عند تحليل النص في الجملتين كحد أقصى، وتنتقي الشواهد الجيدة وتقوم بتجزئتها؛ أما الأسلوبية، فهي تنظر إلى الوحدة الجزئية مرتبطة بالنص الكلي، وتقوم بتحليل النص كاملا.[60] البحث البلاغي يعتبر "الانزياحات وسواها من الظواهر عوامل مستقلة تعمل لحسابها الخاص،

[58] بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، مرجع سابق، ص143-144.

[59] عدنان بن ذريل، اللّغة و الأسلوب، مرجع سابق، ص151.

[60] بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، ص144.

على عكس هذا تعد الأسلوبية الانزياحات عوامل غير مستقلة وتعمل في علاقة جدلية لحساب الخطاب كله."[61]

4- اتخذت البلاغة منحى وصفيا وتفسيريا في الوقت ذاته شأنها شأن الدراسات الأسلوبية، ولكنها تعتمد على التقويم، فهي علم يقوم على قواعد وأصول تعد مقاييس ثابتة؛ ويهدف إلى "تعليم" مادته وموضوعه، وهذه القواعد ذات طابع معياري؛ أما الأسلوبية، فهي تنفي عن نفسها الصبغة المعيارية، وتنتهج منهجا وصفيا، يهدف إلى تشخيص الظواهر الفنية ووصفها. فالبلاغة تحاول عند دراستها للقيمة الفنية للنص الكشف عن مدى نجاحه في تحقيق القيمة المنشودة، وتهدف إلى إيجاد الإبداع بمعاييرها التقييمية، بينما تعلل الأسلوبية الظاهرة الإبداعية بعد إثبات وجودها وإبراز الخواص المميزة للنص.[62] فعلم البلاغة مثلا يعنى في تركيب اللفظ بالفصيح منه وانسجام الأصوات فيه، و"يقول بهجر الألفاظ غير الفصيحة والمركبة من أصوات متقاربة في المخارج والصفات، فهو علم يطلق الأحكام القيمية على أجزاء من الخطاب، أما علم الأسلوبية يدرس الألفاظ والتراكيب الفصيحة وغير الفصيحة في الخطاب، ويحللها ويحدد وظائفها ولا يقول بهجر أي عنصر من عناصر الخطاب، ولا يطلق أحكاما قيمية على أجزاء من الخطاب أو على الخطاب كله"[63].

-تفترض كل من البلاغة والأسلوبية حضور المتلقي في عملية التبليغ، ولكن تتميز الأسلوبية بكونها "قد جعلت هذا الحضور شرطا ضروريا لإكمال عملية الإنشاء، بل إن المتلقي من المنظور الأسلوبي هو الذي يبعث الحياة في النص تبليغه وذوقه"، في حين لا يتعدى حضوره في البلاغة مفهوم مقتضى الحال الذي ينص على تفاوت مقامات الكلام وكذلك مقامات السامعين.

---

[61] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، د.ط، ج1، 2010، ص 28.

[62] المسدي الأسلوبية والأسلوب، ص52.

[63] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، د.ط، ج1، 2010، ، ص 28،29.

ويتبين من خلال ما تقدم عدم وجود تعارض بين العلمين، وتجدر الإشارة إلى أن الأسلوبية استفادت كثيرا من البلاغة، ولكنها استفادت كذلك من علم اللغة الحديث الشيء الذي يمكن أن يستفيد منه البحث البلاغي كذلك.

المحاضرة الخامسة:

الأسلوبية التعبيرية

يعتمد شارل بالي وأتباعه في دراستهم الأسلوبية للنصوص على لغة الخطاب، واستفادوا من المنهج الوصفي في الدراسات اللسانية الحديثة، ولذلك يدعى اتجاههم الفكري بالأسلوبية التعبيرية أو الوصفية. وقد سبقت الإشارة إلى أن الأسلوبية وفقا لهذا المنظور تهدف إلى إقامة علاقة بين الشكل والتفكير، وذلك باعتبار التعبير فعلا يعبر به عن الفكر، ووسيلته إلى ذلك اللغة التي يتمظهر فيها من خلال الأشكال التي تتألف منها[64]، وهي كلماتها الوظيفية، ومفرداتها المعجمية التي تتحدد بناها بوساطة قواعد الصرف (الزمن والإسناد إلى الضمائر بالنسبة للأفعال، والإفراد والتثنية والجمع بالنسبة للأسماء...)، وتراكيبها التي تنتج عن تآلف تلك الأشكال في السلسلة الكلامية على اختلاف سياقات ورودها.

ويذكر منذر عياشي في السياق نفسه أن أسلوبية التعبير لكونها تعنى بدراسة العلاقات القائمة بين الشكل والتفكير "لا تخرج عن إطار اللّغة أو عن الحدث اللساني المعتبر لنفسه، وأسلوبية التعبير إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللّغوي وبهذا تعتبر وصفية"[65]. وموضوع أسلوبية التعبير البنى اللغوية والوظائف التي تؤديها داخل نظام اللغة مما يكسبها طابعا وصفيا، فضلا عن كونها أسلوبية للأثر تتعلق بعلم الدلالة أو بدراسة المعاني".[66] ويصرح بيير جيرو بأن الدراسات التي تتخذ التعبير موضوعا لها "تقف على ناصية اللغة والتفكير، واللسانيات من جهة أولى، كما تقف على ناصية علم النفس، وعلم الاجتماع والتاريخ من جهة ثانية".[67]

وفي إطار الحدود السابقة، يعرف شارل بالي أسلوبية التعبير بكونها علما يعنى بدراسة " وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي؛ أي التعبير عن الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقع

---

[64] بيير جيرو، الأسلوبية، مرجع سابق، ص51.

[65] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، ط1، 2002م، ص42.

[66] المرجع نفسه، ص42.

[67] بيير جيرو، المرجع السابق، ص51.

اللغة عبر هذه الحساسية."[68]فالأسلوبية تبحث عن القيمة التأثيرية للعناصر اللغوية وتفاعلها المتبادل لتشكّل نظاما من الوسائل المعبرة، فهي تسعى إلى استجلاء جوانب العاطفة والتأثير والانفعال مما يجعل الأداء أو التعبير يختلف من فرد إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى. فالطابع الوجداني –حسب شارل بالي– هو الذي يشكل سمة تمييزية في أي حدث تواصلي بين مرسل الخطاب ومستقبله، وفي السياق نفسه "يؤكد على علامات الترجي والأمر والنهي، التي تتحكم في المفردات والتراكيب، وتعكس مواقف حياتية واجتماعية وفكرية"[69]، كما قسم الواقع اللّغوي إلا قسمين: ما يعد حاملا لذاته غير مشحون بشيء، وما يزخر بالعواطف والانفعالات أو الشحنات الوجدانية.[70]

لقد ركز بالي على جانب أداء اللغة الإبلاغية بالنظر إلى المفردات والتراكيب اللغوية وطرق رصدها انطلاقا مما يمليه وجدان المؤلف، بحيث يحملها مضمونا عاطفيا مشحونا دلاليا يؤثر في المتلقي. واعتمد بالي في دراسته الأسلوبية مدونة اللغة الشائعة أي لغة التواصل اليومي دون اللغة الأدبية، فقد كان يهتم بالوظيفة التأثيرية للغة، ولذلك كان همه تتبع السمات والخصائص داخل اللغة اليومية. يذكر منذر عياشي أن أسلوبية التعبير تعمل "على إبراز دور العلاقات التي تربط بين الشكل اللغوي والتعبير الوجداني المتضمن فيه، ولكنها لا تتجاوز في الوقت نفسه حيز اللغة من حيث هي حدث لساني لخطاب نفعي، يتجلى في استعمال الناس له في حياتهم الإيصالية اليومية وتتحدد نظرتها إلى النص في البحث عن البنى اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوي".[71] وهذا التوجه في الدرس الأسلوبي نتلمس فيه تأثير فكر دي سوسير في مؤسس هذا الاتجاه تلميذه شارل بالي.

ويرفض بالي أن يتساءل عن استخدام المؤلف لتعبير معين، فضلا عن التساؤل عن خواص الشخصيات والمواقف أو إيقاع العمل الأدبي، فهو يرى أن هذه الجوانب تنتمي إلى مجال الدراسات

[68] فضل صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، مرجع سابق، ص18

[69] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، مرجع سابق، ص62.

[70] المرجع نفسه, ص62.

[71] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص43.

الجمالية، وليست جزءا من علم الأسلوب الذي يقتصر عنده على دراسة وقائع التعبير اللغوي بصفة عامة دون أن يتدخل في خصوصية المؤلف.

وتطور الاتجاه الذي أسسه شارل بالي في مجال الدراسات الأدبية، حيث أصبحت لغة النص ليست غاية في ذاتها وإنما وسيلة لدراسة الأدوات التعبيرية من أجل غايات أدبية أسلوبية، وصارت الأسلوبية بذلك تعنى بالكشف عن القيم الجمالية في الأعمال الإبداعية. وممن ساروا على نهج بالي، نذكر: ماروزو، مارسيل كريسو، ، ستيفان أولمان وغيرهم.

وتستند أسلوبية بالي على مجموعة من المفاهيم والمبادئ، فقد تبيّن له أن الفكرة التي تتجسد في واقع اللغة في سياق وجداني إما أن تكون محط اعتبار عند المتكلم أو السامع، [72] ويتحدد التعبير في هذا السياق الوجداني من خلال قيمته الأسلوبية. ويفترض مفهوم القيمة الأسلوبية "وجود عدد من الطرق للتعبير عن الفكرة نفسها" [73]، وهو ما يدعى "بالمتغيرات الأسلوبية التي تشكل كل واحدة منها طريقة خاصة للتعبير عن المفهوم ذاته" [74].

وأما عن المبادئ التي يتحدد من خلالها التعبير عامة والقيمة الأسلوبية خاصة، فتجدر الإشارة إلى أن للتعبير ثلاث قيّم ، تتمثل في[75]:

1-قيمة مفهومية أو عامة، وتتمثل في منطق التعبير.

2-قيمة تعبيرية تتميز بكونها غير شعورية تقريبا، وترتكز على الأنظمة النفسية والاجتماعية والفيزيولوجية (علم وظائف الأعضاء).

3-قيمة انطباعية أو قصدية: وتتمثل في قيم جمالية، وأخلاقية، وتعليمية للتعبير.

وتجدر الإشارة إلى أن القيمتين الثانية والثالثة هما اللتان تشكلان قيّما أسلوبية.

---

[72] بيير جيرو، الأسلوبية، مرجع سابق، ص54

[73] المرجع نفسه، ص52

[74] المرجع نفسه، ص52-ص53.

[75] المرجع نفسه، ص52.

وتتم دراسة السمات الوجدانية لوقائع التعبير اللغوي في أسلوب المتكلم من خلال نوعين من الآثار، وهما: [76]

أ–الآثار الطبيعية:

ترجع هذه الآثار حسب بالي إلى وجود علاقة طبيعية بين الفكر والبنيات اللغوية التي تعبر عنه، ثم يمكن ملاحظة وجود نوع من التعادل بين الشكل والمضمون، فضلا عن توفر استعداد طبيعي "يقوم في الشكل بالتعبير عن بعض فئات الفكر"[77]، ومثاله العلاقة بين الصوت والمعنى في الأسماء التي تحاكي صوت الطبيعة؛ ومن أمثلته كذلك تعبير اسم التصغير عن اللطف والرقة، في حين تسند للتفخيم قيمة سيئة.

ب–آثار الاستدعاء:

ويقصد بالي بهذا المصطلح أن الأشكال اللغوية "تستجدي أثرها التعبيري عن المجموعة الاجتماعية التي تستعملها"[78]، مما يجعلها مرآة عاكسة للمواقف التي تتحقق فيها، فالتعبير يوصف بالعامي أو المبتذل وفقا للفئة الاجتماعية التي صدر عنها، فثمة لغات تعبر عن الطبقات الاجتماعية، وأخرى تعبر عن الأوساط والمجالات المهنية. وتختلف اللغات باختلاف أجناس الخطاب كذلك. و"كل طبقة من هذه الطبقات تتميز من الأخرى بنبرات، وبكلمات، وبأخيلة خاصة. وهذه بدورها تعكس–أو بمصطلحات بالي تستدعي–مشاعر ومواقف ذهنية أو اجتماعية خاصة." [79]

[76] بيير جيرو، الأسلوبية، ص55–56، ومنذر عياشي، اللغة والأسلوب، ص136.

[77] بيير جيرو، الأسلوبية، ص55.

[78] المرجع نفسه، ص56.

[79] المرجع نفسه، ص56.

المحاضرة السادسة:

الأسلوبية النفسية

تقوم الأسلوبية الفردية على فكرة كون الأثر الأدبي وسيله للولوج إلى نفسية صاحبه من خلال المفردات والتراكيب الحاملة للخطاب الكامل في النص الأدبي. فهي "تعنى بمضمون الرسالة ونسيجها اللغوي في مراعاتها لمكونات الحدث الأدبي"[80]. وإذا كانت الأسلوبية التعبيرية تهتم بالأدوات اللسانية وطرق توظيفها في التراكيب، فان أسلوبية الفرد تتجاوز ذلك إلى دراسة الأسباب والعلل ذات الصلة بالخطاب. وينطلق أصحاب هذا الاتجاه الأسلوبي من فكرة ذاتية الأسلوب وفرديته، ولذلك فهم يهتمون بالعلاقة بين وسائل التعبير والفرد، وفضلا عن ذلك بالعلاقة القائمة بين تلك الوسائل والجماعة المستعملة للغة الحاملة للخطاب.

ويعتبر ليو سبيتز(Léo Spitzer) من رواد هذا الاتجاه، وتذهب أغلب الدراسات إلى أنه هو مؤسس أسلوبية الفرد. [81] ويظهر منهجه في الدرس الأسلوبي من خلال مؤلفه "دراسة في الأسلوب" الذي اهتم فيه بالذات "المبدعة وخصوصية أسلوبها انطلاقا من تفردها في الكتابة"،[82] وما ينجم عنها من أثر في الاستخدام الأسلوبي. فهو ينطلق من كون "الأسلوب انعطاف شخصي عن الاستعمال المألوف للغة، ففكر الكاتب بالنسبة لهذه المنهج لحمة في تماسك النص والتعاطف مع النص ضروري للدخول إلى عالمه الحميم"[83].

يدرس سبيتزر العلاقة بين الجانب النفسي للمؤلف وما ينتجه من نصوص تختلف عن إنتاجات غيره. وينظر إلى تفرده في الأسلوب في إطار وسط اجتماعي يتطور عبر التاريخ.

---

[80] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، المرجع السابق، ص67.

[81] المرجع نفسه، ص71.

[82] رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، ط1، دار المعارف، الإسكندرية، 1993، ص53.

[83] حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في (أنشودة المطر) للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م، ص 36،37.

وفي ضوء ما سبق، يتحدد مجال البحث في الأسلوبية الفردية على أنه تتبع للتحولات اللغوية التي أحدثها المبدع في خصوصيته وفرديته المتميزة انطلاقا من دفقة شعورية يختص بها. ويذكر عبد السلام المسدي أن هذا المنهج الأسلوبي "لا مجازفة في شيء أن ننعته بتيار الانطباعية، فكل قواعده العملية منها والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل وقالت بنسبية التعليل." [84]

ويعتمد سبيتز في دراسته الأدبية للأسلوب على جملة من المبادئ أقام عليها منهجه، ويمكن إيجازها فيما يلي:[85]

1-ملازمة العمل الفني في الدراسة الأسلوبية وضرورة الانطلاق منه ذاته، وليس من عناصر ووجهات نظر خارجة عنه، انطلاقا من تفرد كل عمل، وتمايزه عما سواه.

2-يشكل كل عمل فني وحدة متكاملة، ويتجلى في مركزه فكر صاحبه، وهو ما يشكل تماسك النص الداخلي.

3-يتركب العمل الفني من مجموعة من الجزئيات المعللة والمندمجة بعضها مع بعض، ويفترض أن تشكل كل جزئية منها مدخلا للولوج إلى مركزه.

4-يعتمد في الولوج إلى عالم النص على الحدس الذي يتم التحقق منه بالملاحظة والاستنتاجات.

5-فكر الكاتب يعكس فكر أمته، ونظرا لذلك، فإن جميع الأعمال التي تنتمي إلى عصر أو بلد واحد لها "مخرج مشترك". ولعل هذه الملاحظة هي التي جعلت سبيتزر يدعو إلى الاستعانة بعلم الدلالة التاريخي باعتباره يمكّن الدارس من النفاذ إلى شخصية الكاتب وفهمها، فضلا عن أن ذلك يمكنه من التعمق في الكلمات المستعملة في عصر أو حقبة زمنية معينة.

6-يمكن للدراسة الأسلوبية أن تنطلق من إحدى السمات اللغوية، كما يمكن أن تنطلق من أي سمة أخرى غير لسانية. فمن شأن الدراسة اللغوية تعزيز الدراسة الأدبية، ولكن في الوقت ذاته لا يمكن

[84] المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص21-22.

[85] صلاح فضل، علم الأسلوب، ص69-70

إغفال أن اللغة مظهرا خارجيا للشكل الداخلي، فمنبع الإبداعية يمكن أن يكون اللغة، الأفكار، القصة أو التكوين.

7-تعبر السمة المميزة عن تفريغ أسلوبي فردي، فهي طريقة خاصة في الكلام تشكل انزياحا عن الكلام العادي.

8-ضرورة التعاطف مع النص وصاحبه للولوج إلى عالمه.

المحاضرة السابعة:

الأسلوبية البنيوية

تستمد الأسلوبية البنوية مبادئها من مدرسة دي سوسور اللسانية وما تضمنته من أفكار كتمييزها بين الكلام واللغة، فضلا عن قيام البنوية اللسانية على الشكل والوظيفة والنموذج الافتراضي المتضمن في النسق اللغوي. فالأسلوبية البنيوية تعنى بتحليل "الأسلوب من خلال التركيب اللّغوي للخطاب، فتحدد العلاقات التركيبية للعناصر اللّغوية في تتابعها ومماثلتها، وذلك بالإشارة إلى الفروق التي تتولد في سياق الوقائع الأسلوبية ووظائفها في الخطاب الأدبي"[86].

وتعرف اللغة في إطار هذه المدرسة بكونها نظاما من الإشارات ترتبط فيما بينها بوساطة علاقات تكتسب من خلالها قيمها، كما تحدد وظيفة الأشكال في البنى. وفضلا عن ذلك، فقد استعار جاكبسون من نظرية الاتصال مفهوما استثمرته كل مناهج اللسانيات الحديثة، يتمثل في كون وظيفة اللغة هي الاتصال، ويفترض ذلك توفر عناصر ثلاثة هي: المرسل والمرسل إليه والرسالة.

ونعرض فيما يلي بعضا من جهود المدرسة الأسلوبية البنيوية من خلال اتجاهات ثلاث يمثلها-كما ورد عن صلاح فضل في كتابه علم الأسلوب-"بارت" و"ريفاتير" وأتباع المنهج النحوي التوليدي التحويلي. وتجدر الإشارة إلى أن الاتجاهات الأسلوبية البنيوية تعد أكثر الاتجاهات انتشارا في الدرس الأسلوبي الحديث.

-الاتجاه الأول:

هو اتجاه "رولان بارت"(Roland Barthes) الذي وضع تعريفا للأسلوب بمقابلته بالكتابة، وذلك باعتبارها نتيجة للقصد والاختيار، وهو يعتبر كليهما مخالفا لمفهوم اللغة العادي. ويعرف بارت الأسلوب بقوله أنه "لغة تتميز بالاكتفاء الذاتي وتغرس جذورها-على حد تعبيره-في أسطورة المؤلف

[86] حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص 89.

الذاتية السرية-...فالأسلوب في حقيقة الأمر ظاهرة ذات طبيعة تشبه طبيعة البذور، يهدف إلى نقل الحالة والمزاج ليستزرعها في نفس القارئ".[87]

-الاتجاه الثاني:

ويمثله "ريفاتير"، ويعرف الأسلوب بقوله: " يفهم من الأسلوب الأدبي كل شكل مكتوب فردي، ذي قصد أدبي، أي أسلوب مؤلف ما، أو بالأحرى أسلوب عمل أدبي محدد يمكن أن نطلق عليه الشعر أو النص، وحتى أسلوب مشهد واحد".[88] ويعلق ريفاتير على قوله ليردفه بتعريف يراه أدق وأوضح، فيقول: "الأسلوب هو البروز الذي تفرضه بعض لحظات تعاقب الكلمات في الجمل على انتباه القارئ بشكل لا يمكن حذفه دون تشويه النص، ولا يمكن فك شفرته دون أن يتضح أنه دال ومميز، مما يجعلنا نفسر ذلك بالتعرف فيه على شكل أدبي أو شخصية المؤلف أو ما عدا ذلك."[89] وباختصار، "فإن اللغة تعبر والأسلوب يبرز[90]."ومن هذا المنطلق، يرى ريفاتير أن التحليل الأسلوبي الموضوعي يقتضي الانطلاق من أحكام القارئ حول النص، وليس مباشرة من النص نفسه، لأن تلك الأحكام وإن كانت تقييمية ذاتية، فلها أسبابها التي يعد ربطها بها عملا موضوعيا.[91]

وتحديد ريفاتير للأسلوب يعتمد على الانزياح-وأن لم يومئ بذلك حسب المسدي- فهو يعتبره خرقا للقواعد أحيانا، ولجوءا إلى النادر من الصيغ أحيانا أخرى. ويعلق المسدي على أن الأسلوب في الحالة الأولى يعد من مباحث البلاغة، وهو بذلك يستدعي الاعتماد على أحكام تقييمية معيارية. وفي الحالة الثانية، ينتمي إلى اللسانيات عموما والأسلوبية خاصة.[92]

ويعتبر ريفاتير الأشكال الفردية بالنسبة للأسلوب كالكلام بالنسبة للغة، فهي أشكال تتيح دراستها الحصول على البيانات التي تتطلبها إقامة النظام. إن استخدام المؤلف لعناصر اللغة الأدبية قصد إحداث

---

[87] صلاح فضل، علم الأسلوب، مرجع سابق، ص108.

[88] المرجع نفسه، 110

[89] المرجع نفسه، 111

[90] المرجع نفسه، ص111

[91] المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص83-84.

[92] المرجع نفسه، ص103.

تأثير خاص يحول هذه العناصر إلى عناصر أسلوبية، وتعود مزيتها في هذا التنفيذ الخاص لقيمتها، وليس إلى القيمة المحتملة لها في نظام موحد. و" لو لم تستخدم لإحداث تأثير محدد، فإن أقصى ما يمكن أن يقال حينئذ هو أنها تمثل خلفية سياقية متخصصة بالنسبة للأسلوب الفردي أكثر من القول العادي. على أن الأساليب الفردية في الكلام يصعب في أحسن الحالات وصفها، ويسهل وضعها في أنماط عامة، مما يجعلها أقل تخالفا فيما بينها وأقرب إلى اللغة العامة من الأساليب الكتابية." [93]وفي المقابل، تتصف الأساليب الأدبية بالتعقيد والتشابك، مما يجعل ملامحها قابلة للتمييز بصورة واضحة. ولقد قام ريفاتير بتحديد الأسلوب من الناحية التطبيقية باعتماده على هذا المفهوم.

-الاتجاه الثالث:

يمثله باحثو مدرسة النحو التوليدي التحويلي، وارتبط مفهوم الأسلوب عندهم بحركة التطور التي عرفها اتجاههم النحوي. ففي عامي 1957م، قدم نعوم تشومسكي (Chomsky Noam) أول نموذج لهذه المدرسة وضّح فيه أن "العنصر المكون للبنية التركيبية (يشكل) مجموعة من سلاسل الأطراف التي يمكن تمثيلها في اساسها بشجرة (بنوية)"،[94] وتتميز هذه السلاسل بكونها تخضع لنمطين من التحولات:

-تحولات إجبارية.

-تحولات اختيارية.

ويتعاقب النمطين في السلاسل الكلامية لينتجا معا جمل اللغة. وتتميز التحولات الاختيارية بقابليتها لإدراج عناصر دلالية جديدة، ويترتب عن ذلك تعديل في الدلالة. ففي مستوى الجمل الأساسية التي يطلق عليها "الجمل النووية"، والتي تتميز بشكلها البسيط الخالي من الأفعال والصيغ المركبة، تمارس التحولات الإجبارية دون الاختيارية. وتتيح التحولات الاختيارية تركيب جمل مختلفة وأكثر تعقيدا انطلاقا من الجمل النووية، ويمكن –على العكس من ذلك–تحويل الجمل المركبة إلى جمل نووية بإلغاء كل التحولات الاختيارية التي خضعت لها.

وأتاح الاعتماد على هذا النموذج اقتراح بعض الباحثين لمجموعة من المبادئ الهامة بالنسبة للدرس

[93] المرجع نفسه، ص112

[94] صلاح فضل، علم الأسلوب، مرجع سابق، ص112.

الأسلوبي في المستويين النظري والتحليلي.

ينطلق الدرس الأسلوبي وفق هذا الاتجاه من مبدأ يتمثل في أن الكتابة ينبغي أن تفترض اختيارات في الصياغة اللغوية (الأسلوب باعتباره اختيار المؤلف لبعض إمكانات الصياغة اللغوية)، وعلى هذا الأساس، فإن وصف تراكيب الجمل البديلة-"التي يتم تصورها بشكل حدسي باعتبارها محتوية على نفس المضمون "[95]-وصفا شكليا يعتمد على "العناصر المكونة التحويلية طبقا للنموذج الذي قدمه "تشومسكي"، وعلى وجه الدقة يتمثل في التحولات الاختيارية التي يكمن أن يقوم بها المؤلف بأشكال مختلفة في إنتاج الجمل. وعلى هذا فإن الأسلوب يعد نتيجة لاختيار المؤلف من مختلف التحولات الاختيارية الممكنة".[96]

إن التصور الذي طرحه هذا الاتجاه يجعل الأسلوب قابلا للوصف وللتحليل معا، إذ ترد جمل النص المراد تحليله إلى مجموعة من الجمل الأساسية (النووية) البسيطة، ثم توصف التحولات الاختيارية التي أجريت عليها أثناء الصياغة لتصل الى شكلها النهائي في النص. وهذا النمط من التحليل الأسلوبي لا يتطلب تنفيذه الوقوف على معارف أدبية مسبقة، ولا اعتماد مبادئ ذاتية، وفضلا عن ذلك، فأن نتائج التحليل التي تنتهي إليها عملية الوصف النحوي لا ترتبط بالمحلل، وتتميز باستقلالها عن شخصيته الفردية، وعلى هذا الأساس، تصير "قابلة للتكرار كما تقضي بذلك النظرية العلمية".[97]

وأثبت بعض الباحثين الذين استثمروا هذا المنهج لتحليل عدد من النصوص ومنهم (أوهمان) أنه "يؤدي إلى نتائج مهمة في التفسير الأدبي...واستطاعوا من خلال ذلك التوصل إلى تحديد الفوارق الأسلوبية المهمة بمقولات نحوية مع بذل مجهود محدود".[98]

ولكن بالرغم من المزايا التي سبق ذكرها، فإن هذا النوع من التحليل لا يمكن أن يحيط بكل جوانب الظاهرة الأسلوبية، كما أن تحليل النص إلى جمل بسيطة (نووية) يعد إجراء مصطنع إلى حد ما. والنظرية التي يقوم عليها هذا الإجراء لا توضح العمليات الذهنية التي تتم عند توليد النص وإنتاجه.

---

[95] المرجع نفسه، ص113

[96] فضل صلاح، علم الأسلوب، مرجع سابق ، ص113-114.

[97] المرجع نفسه، ص114.

[98] المرجع نفسه، ص114.

بيد أن الإشكال الرئيسي الذي واجهه هذا المنهج في صياغته الأولى للنحو التوليدي والتحويلي، هو أن التحولات الاختيارية قد تؤدي إلى تعديل الدلالة، بينما يقتضي تصور الأسلوب كاختيار بين احتمالات تحويلية متعددة افتراض عدم اختلاف الدلالة.

وبقي الأمر على حاله إلى أن قام تشومسكي عام 1965م بنشر صياغة جديدة للنحو التوليدي التحويلي، وهي صياغة يميز فيها بين البنية السطحية والبنية العميقة للنص، بحيث تتفرع جمل البنية السطحية من البنية العميقة بوساطة العناصر المكونة التحويلية بدلا من الجمل النووية، وتقوم التحولات على مبدأ الحفاظ على الدلالة، أي أن التحولات الاختيارية تعد تنوعات أسلوبية "لا تؤثر على الهيكل النحوي، ويمكن إجراء تفسير دلالي على أساس البنية العميقة."[99]

وبالرغم من التوضيح الدقيق لعمليات التحويل إلا أن المنهج الجديد لا يخلو من التعقيد ويصعب تطبيقه على النصوص الأدبية، ويظل النموذج القديم أسهل للتطبيق بالرغم من قصوره.

وأشهر تعريف متداول بين الباحثين في الآونة الأخيرة هو أن الأسلوب "محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل".[100] وهذا التعريف ليس من وضع النحاة التوليديين، فهو تعريف تم تداوله قبلهم، وينص على أن الأسلوب يتشكل "نتيجة لانتقاء المؤلف من بين إمكانات اللغة الاختيارية التي تقوم بينها علاقة التبادل".[101] فمن السهل ملاحظه الفوارق الأسلوبية بين النصوص التي تنتمي لنفس اللغة وتؤدي نفس المحتوى الإعلامي بأشكال مختلفة. وهذا المنحى جدير بإدراج نظرية التواصل في مجال الدرس الأسلوبي.

ويمكن التمييز بين الاختيارات التالية[102]:

1-اختيار قصد التواصل، فانطلاقا من أهداف محددة يمكن أن يحقق المتكلم قصده من الكلام (إقناع، إعلام....).

2-اختيار موضوع الكلام.

3-اختيار الشفرة اللغوية (لغة/ لهجة).

---

[99] صلاح فضل، علم الأسلوب، مرجع سابق، ص115.

[100] المرجع نفسه، ص116.

[101] المرجع نفسه، ص116.

[102] المرجع نفسه، ص116-117.

4-الاختيار النحوي لأبنية تخضع صياغتها لقواعد نحوية إجبارية.

5-تبقى مجموعة من إمكانات التعبير الاختيارية المتكافئة من حيث الدلالة بكيفية أو بأخرى، وهذه الإمكانات هي التي يستطيع ضمنها المتكلم أو الكاتب ممارسة اختياراته الأسلوبية.

المحاضرة الثامنة:

الأسلوبية الإحصائية

يتشكل الأسلوب بفضل عملية اختيار قد تكون واعية أو غير واعية لعناصر من اللغة؛ وتمثل عملية الإحصاء الأسلوبي وسيلة دقيقة للكشف عن عملية اختيار منتج النص لتلك العناصر اللغوية التي يوظفها قصد إحداث التأثير الأسلوبي.

وتنطلق عملية الإحصاء من مبدأ كون الأسلوب في نص ما يعتمد "على العلاقة القائمة بين معدلات التكرار للعناصر الصوتية والنحوية والمعجمية، ومعدلات تكرار نفس هذه العناصر في قاعدة متصلة به من ناحية السياق."[103] ومن هذا المنطلق يعد المنهج الإحصائي "من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب وتمييز الفرروق بينها، ويكاد ينفرد من بين المعايير الموضوعية بقابليته لأن يستخدم في قياس الخصائص الأسلوبية كائنا ما كان التعريف الذي يتبناه الباحث للأسلوب، أو الطراز النحوي الذي يستخدمه"[104].

وتلجأ علوم ومناهج كثيرة إلى الإحصاء سعيا منها لمقاربة الموضوعية العلمية لكونه يسهم في تحديد الظواهر المدروسة، ولذلك تستعين به الأسلوبية لمقاربة الواقع الإحصائي للنص، و "تمهيدا لبلورة معطيات تدل على صفات الخطاب الأدبي في أدواته البلاغية و الجمالية، وتصب فيما يسمى(التعليل الأسلوبي) والمقاربة الأسلوبية تتدرج من الإحصاء إلى البنية ومن البنية إلى الاستنساب، ومن الاستنساب إلى الوظيفة، فالبنية المناسبة هي البنية ذات الوظيفة"[105]. وفي ضوء ما سبق، سعى الباحثون في مجال الأسلوبية إلى اعتماد الإحصاء الرياضي بوصفه وسيلة للولوج إلى عالم النص الأدبي، ويهدفون من خلال "التشخيص الأسلوبي الإحصائي إلى تحقيق الوصف الإحصائي الأسلوبي للنص، لبيان ما يميزه من

---

[103] صلاح فضل ، المرجع السابق، 242.

[104] سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، مكتبة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عالم الكتب، ط 3، 1416هـ، 1996م، ص 41.

[105] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص103.

خصائص أسلوبية"[106]. ويوضح (فول فوكس) الأهداف المنهجية لهذا التشخيص بقوله: "وحينما يتم تحديد الأسلوب كما يأتي في نطاق المجال الرياضي بتحديده من خلال مجموع المعطيات التي يمكن حصرها كميا في التركيب الشكلي للنص. وحينها يهتم تحديد الأسلوب بأنه تردد الوحدات اللّغوية التي يمكن إدراكها شكليا في النص، فهذا يعني أنه يمكن إحصاء هذه الوحدات اللّغوية وإخضاعها للعمليات الرياضية"[107].

ويستخدم المحلل للنص الأسلوبي وفقا لهذا الاتجاه خبرته اللغوية المكتسبة التي تتعلق بمعدلات تكرار العناصر اللغوية في سياقات معينة، وتتحول تلك الخبرة عند التحليل إلى مجموعة من التوقعات التي قد تتحقق أو لا تتحقق. وهي تمثل احتمالات سياقية يوازن بمجموعها النص المحلل، مما جعل باحثو هذا الاتجاه ينصون على أن "أسلوب نص ما ليس سوى مركب الاحتمالات السياقية لعناصره اللغوية".[108]

فالأسلوب من ناحية هو محصلة لأكثر من عنصر لغوي، وتكتسب الكلمة دلالتها الأسلوبية في نص ما من تجاورها مع الكلمات الأخرى، ولذلك فإن إعداد قوائم غير سياقية للعناصر الإفرادية لا قيمة له من وجهة النظر الأسلوبية. ومن ناحية أخرى، لا ينبغي قصر الدراسة الأسلوبية على مجموعة من الملاحظات الصوتية والمعجمية والنحوية، بل يجب أن تكون تلك الملاحظات قائمة على مستويات مختلفة، لكي لا يبدو الأسلوب مجرد تقسيم فرعي لإحدى مراحل التحليل اللغوي.

ويعتمد في قياس أسلوب نص ما على مقارنة معدلات تكرار "عناصره اللغوية في مستوياتها المختلفة مع ملامح نص آخر، أو مجموعة أخرى من النصوص التي تعد قاعدة ذات علاقة محددة في سياقها بالمشهد الذي نحلله".[109] وفي ضوء ذلك، فالتحليل الأسلوبي لقصيدة ما يقتضي مقارنتها بالنماذج الشعرية التي تندرج تحت الغرض نفسه في عصر الشاعر، وبإنتاج الشاعر بأكمله، فضلا عن مقارنتها

[106] محمد عبد العزيز الوافي، مجلة علامات" حول الأسلوبية الإحصائية"، ج42، مج 11، ديسمبر، 2001م، ص122.

[107] المرجع نفسه، ص103.

[108] صلاح فضل، المرجع السابق، ص242.

[109] المرجع نفسه، ص243.

بالقصائد التي تتناول الموضوع ذاته في العصور التالية؛ فمن شأن كل ذلك إقامة تضاد موسع تستجلى من خلاله خصائص القصيدة التي تم تحليلها.

والعلاقات السياقية في التحليل الأسلوبي يمكن تحديدها من الناحية اللغوية، كما يمكن تحديدها خارج اللغة، وذلك من خلال سياق الموقف الذي يمثل المتكلم والمستمع أو علاقاتهما وبيئتهما.

وقد حاول بعض الباحثين تقديم قائمة تعد نموذجا للملامح السياقية، وتتمثل في: [110]

أولا: السياق الداخلي للنص، ويندرج تحته:

1-الجانب اللغوي، ويتمثل في:

-"السياق الصوتي مثل نوعية الصوت وسرعته.

-السياق الصرفي.

-السياق النحوي، مثل حجم الجمل وتداخلاتها.

-السياق المعجمي.

-السياق الخطي والإملائي.

2-الجانب التركيبي، ويتمثل في:

-"بداية الجملة أو الفقرة أو القصيدة أو المسرحية ووسطها ونهايتها.

-علاقة النص بالوحدات النصية القريبة منه.

-الوزن أو الشكل الأدبي والوضع النمطي.

ثانيا: السياق الخارجي للنص، ويندرج تحته:

-"العصر.

[110] فضل صلاح، المرجع السابق، ص244-245.

-نوع القول وجنسه الأدبي.

-المتكلم أو الكاتب.

-المستمع أو القارئ.

-العلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الجنس والعمر والألفة والتربية والطبقة الاجتماعية وغير ذلك.

-سياق الموقف والظروف المحيطة به.

-إيماءات أو إشارات عضوية.

-اللهجة أو اللغة.

المحاضرة التاسعة:

الظواهر الأسلوبية (الانزياح)

تمر عملية إنتاج الكلام بمرحلتين مهمتين هما الاختيار والتوزيع يتحدد من خلالهما الأسلوب، وقد سبق الحديث عن محور الاختيار الذي يتمثل في انتقاء منتج الكلام من جملة الإمكانيات التي توفرها اللغة عناصر وإيثارها على أخرى تعادلها؛ وأما محور التوزيع أو التركيب، فيتمثل في تأليف العناصر المختارة وفق ما تقتضيها قواعد اللغة في مختلف مستوياتها. ويتشكل الأسلوب من التقاطع الحاصل بين المحورين. والأسلوب الإبداعي يتحقق بوساطة "اختيار لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه"،[111] و"الخروج من مجرد إنشاء الكلام إلى نمط آخر من الكلام يبعث على الشعور بالجمال من منظور غير معتاد غير مألوف في أبجديات الخطاب..." [112] وهو ما يعرف بالانحراف الأسلوبي عن اللغة المألوفة، ويعبر عنه علماء الأسلوب بمصطلح: الانزياح.

فالانزياح ينتج عن تصرف مستعمل اللغة في المستوى الدلالي أو التركيبي بما يخرج عن المألوف".[113] ويجمع العلماء على أن لظاهرة الانزياح أثرا جماليا وإن كانوا يختلفون في تحليله. ويرى جون كوهن أن الهدف الخاص للانزياح "هو فك بناء اللغة، ورفض الوظيفة الاتصالية لها، والتحويل النوعي للمعنى الموصوف، من معنى تصوري إلى معنى شعوري"،[114] "ذلك أن اختراق المألوف من استعمالات اللغة، وانتهاك صيغ أساليبها الجاهزة، من شأنه "شحن الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيرا في

---

[111] لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، ص22.

[112] جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء، دار توبقال، ط1، سنة 1986

[113] عبد السلام المسدي الاسلوب والاسلوبية ص163/162

[114] مسعود بودوخة، البلاغة العربية والمقولات الأسلوبية، مجلة الآداب واللغات، جامعة محمد البشير الأبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر، ع2، 2015 ، ص51

المتلقي".[115] فمن خصائص الانزياح إحداث خيبة الانتظار لدى السامع أو القارئ، وهو ما عبر عنه "ريفاتير" بعنصر المفاجأة، ومما قرره في هذا الشأن أنه:[116]

1-كلما كانت المفاجأة غير منتظرة كلما كان وقعها أكثر في المتلقي.

2-تكرار السمة الأسلوبية يجردها من الشحنة التأثيرية التي تحدثها في المتلقي.

ويشير بعض الباحثين إلى أن (ليوسبتزر) هو الذي جاء بمصطلح الانزياح، حيث لفت انتباهه التعبيرات التي تميزت بابتعادها عن الاستخدام العام عند قراءته للروايات الفرنسية الحديثة، غير أن (ثورن) استوقفته هذه الظاهرة كذلك، حيث لاحظ عندما قام بتحليل قصائد الشعر أن لغة الأدب عامة، ولغة الشعر خاصة تتميز بإيراد غير عاد أو مغاير للنمط المتصور للغة[117]. وقد صار هذا العنصر مبدأ من المبادئ النظرية التي تقوم عليه الدراسات الأسلوبية الحديثة على الرغم من اختلاف المدارس من حيث المناهج والمنطلقات.

وتعبّر الدراسات الغربية عن ظاهرة الانزياح-فضلا عن هذا المصطلح- بمصطلحات أخرى متعددة، وهي حسب عبد السلام المسدي اثنتا عشرة كلمة، وهي: التجاور، الانحراف، الاختلال، الإطاحة، المخالفة، الشناعة، الانتهاك، خرق السنن، اللحن،...وغيرها.[118]

ويقابل مصطلح الانزياح أو ما يقوم مقامه من المصطلحات الغربية في اللغة العربية مصطلح العدول، ومصطلحات كثيرة أخرى، مما يدل على اهتمام علماء البلاغة برصد تجليات هذه الظاهرة، ومنها: العدول، والتحويل، والاتساع، والمجاز، والتغيير، والانحراف، والتحريف، والخروج، واللحن، والنقل، والانتقال، والرجوع، والالتفات، والصرف والانصراف، والتلوين، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة

[115] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ج1،ص198

[116] نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1،ص200

[117] مسعود بودوخة، البلاغة العربية والمقولات الأسلوبية، ص50

[118] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص100-101.

العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العادة. فالمصطلحات السابقة تلتقي كلها حول مفهوم عام يتمثل في "العدول عن أصل مفترض إلى استعمال خاص، وأكثر المصطلحات تعبيرا عن ظاهرة: الانزياح الالتفات والمجاز والضرورة".[119]

والانزياح يقع في الاختيار وفي مستوى التوزيع على حد سواء:

– ففي مستوى الاختيار الذي يعبر عنه كوهن بالاستبدال، يتعلق الانزياح بجوهر المادة اللغوية، حيث يتم التبادل بين وحدات اللغة القابلة للاستبدال، وتمثل الصورة البيانية من تشبيه وكناية واستعارة ومجاز نموذجا لهذا النوع. ومنه"قول الشاعر: والعين تختلس السماع...." في الاستعمال المألوف للغة حاسة البصر تسترق النظر، واختيار كلمة السماع والعدول عن كلمة النظر يشكل انزياحا أسلوبيا، وكذلك "إسناد فعل الاختلاس إلى جارحة العين".[120]

وفي مستوى التوزيع أو التركيب، يقع الانزياح في طريقة تركيب الكلمات الواحدة تلوى الأخرى في السياق الكلامي، ويمس العلاقات التي ترتبط بها، ويقع في مستويات بناء اللغة: الصوتي والصرفي والنحوي، ومن أمثلته التقديم والتأخير وغيرهما. فقوله تعالى:: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87] يتضمن عدولا عن نمط التركيب الأصلي من وجهين: يتمثل الأول في تقديم المفعول به، والثاني في اختزال الضمير الذي يعود عليه.حيث قدم المفعول به من ناحية، واختزل الضمير العائد عليه من ناحية أخرى. يقول المسدي: و"لو قال قائل:كذبت فريقا وقتلت فريقا، فليس في هذا الاستعمال أي خاصية أسلوبية."[121]

وتضمنت كتب البلاغيين إشارات كثيرة لظواهر يمكن إدراجها تحت مفهوم الانزياح بالرغم من أنهم لم يخصصوا بابا يجمعون فيه هذه الظواهر، ولكن مع كل ذلك، فإن تناولهم لها يعكس عن إدراكهم لفاعليتها وقيمتها الفنية، و"هي تبدأ من أدنى تغير صوتي وتنتهي بتغيّر النوع الأدبي للخطاب برمته"[122]. وتتعدد صور الانزياح والتحولات التركيبية والدلالية التي تناولها البلاغيون في علمي البيان

[119] مسعود بودوخة، البلاغة العربية والمقولات الأسلوبية، ص51–52.

[120] عبد السلام المسدي الاسلوب والاسلوبية ص163/162

[121] المرجع نفسه، ص163/162

[122] المرجع نفسه، 52.

والمعاني، إذ قد تعتري النص كله قصد دفع الملل عن المتلقي، ورد عن حازم القرطاجني: "لا ينبغي أن يستمر في كلام طويل على وصف حالة ساذجة...فإن الترامي بالكلام إلى أنحاء شتى...ألذ وأطيب من الجمود به على حالة واحدة."[123] وقال الجاحظ: "القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تَسِرْ، ولم تجر مجرى النوادر، وحتى لم تخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع".[124] وورد عن القرطاجني كلام كأنه يفسر القول السابق، إذ يقول: "كلما كان الكلام مقتصرا على فن واحد من الابداعات وإن كان حسنا في نفسه لم يحسن، لأن ذلك مؤد إلى سآمة النفس، فإن شيمتها الضجر مما يتردد، والولع بما يتجدد".[125]ويعتبر ابن قتيبة قلة الشعر معيارا جماليا، ويذكر الجاحظ أنه لو تنافس الجليل والذميم في قول الشعر وكانا في المرتبة نفسها، يختار الذميم نظرا لعنصر المفاجأة. ويزيد الجاحظ ذلك تعليلا بقوله: "الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أظرف، وكلما كان أظرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع...والناس مولعون بتعظيم الغريب واستظراف البديع."[126]

ويمثل القرآن الكريم أقصى مراتب البلاغة، فقد جاء بأسلوب مغاير لما كان متعارفا من الأشكال والأجناس الأدبية، وأنواع الخطاب المتداولة شكلا ومضمونا، فهو أتى-كما يقول الرماني- "بطريقةمفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة"[127] ، وهذا ما عناه

---

[123] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة ، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م، ص.348 .

[124]الجاحظ أب وعثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: درويش الجندي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ2005/م، ج،1 ص.129

[125] القرطاجني، منهاج البلغاء. ص61

[126] البيان والتبيين ج،1 ص.64

[127] الرماني علي بن عيسى ، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثالث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط،4 القاهرة،)د ت(، ص.111

علماءالقرآن حين وصفوه بـ "غرابة الأسلوب ونقض العادة".[128] وأدى تفرد أسلوبه إلى التسليم له بالإعجاز. [129]

ومن صور العدول التي وردت عند القدماء:

-العدول الصرفي:

ومن ذلك ما وقف عليه ابن الأثير في مستوى الصيغ، فقد أفرد لها مبحثا سماه اختلاف صبغ الألفاظ واتفاقها، وقد أشار في حديثه عن هذه الظاهرة إلى التغير الذي يصحبها من الناحية الفنية، فقال: "أما اختلاف صيغ الألفاظ فإنها إذا نقلت من هيئة إلى هيئة كنقلها مثلا من وزن من الأوزان إلى وزن آخر وإن كانت اللفظة واحدة أو كنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل أو من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل أو من المستقبل إلى الماضي، أو من الواحد إلى التثنية أو إلى الجمع أو إلى النسب أو إلى غير ذلك انتقل قبحها صار حسنا، وحسنها صار قبحا".[130]

ومن صور هذا العدول ما ذكره ابن الأثير من أقسام الالتفات، وهو في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فتثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيْتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]

يقتضي السياق في هذا الموضع صيغة الفعل الماضي (فأثارت)، وعدل عنها إلى (فتثير) لغرض بلاغي.

-التقديم والتأخير:

[128] ينظر: الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1408هـ1988/م، ج،2 ص98 .

[129] مسعود بودوخةأ ص64-66.

[130] ابن الأثير، المثل السائر، ط1، 293

في قوله تعالى:﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سبْحَانهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصفون (37)، يقول عبد القاهر الجرجاني عن التقديم الموجود في الآية: "ليس خاف أن لتقديم (الشركاء) حسنا وروعة ومأخذا من القلوب، أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخرت فقلت: (وجعلوا الجن شركاء الله) ... للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلا لا سبيل إليه مع التأخير. بيانه أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله، أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم (الشركاء) يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن. وإذا أخر فقيل: (جعلوا الجن شركاء لله)، لم يفد ذلك، ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى؛ فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن، فلا يكون في اللفظ، مع تأخير (الشركاء)، دليل عليه وذلك أن التقدير يكون مع التقديم أن (شركاء) مفعول أوّل لجعل، ولله في موضع المفعول الثاني، ويكون الجن على كلام ثان وعلى تقدير أنه كأنه قيل : (فمن جعلوا شركاء لله تعالى؟) فقيل: الجن..."[131]

-التجريد:

والتجريد هو "إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك"[132] ويعد نوعا من أنواع الانزياح القريب من معنى الالتفات.

ويرى ابن الأثير أن الغرض منه أو فائدته تكمن في:[133]

1-طلب التوسع في الكلام، فكون ظاهر الخطاب لغيرك، وباطنه لنفسك من باب التوسع.

[131] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، 289.

[132] ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط،1 بيروت، 1419 هـ/ 1998م، ج،1 ص402

[133] المصدر السابق، ص402.

2-أن يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطبا بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله، غير محجور عليه.

وقسم العلوي التجريد إلى نوعين: محض وغير محض (ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز):

- التجريد المحض: "أن تأتي بكلام يكون ظاهره خطابا لغيرك وأنت تريده خطابا لنفسك...كقول الشاعر:

إلام يراك المجدُ في زي شاعر وقد نَحِلتْ شَوْقًا فُروع المنابر"[134]

- التجريد غير المحض: وهو "أن تجعل الخطاب لنفسك على جهة الخصوص دون غيرها، كقول الشاعر:

"أقول لها وقد جشأت وجاشت مكانَكِ تُحمدي أو تستريحي"[135]

والتجريد المحض هو ما ذكره ابن الأثير، أما غير المحض فقد انفرد به العلوي، ويمثل نوعا من الحوار الداخلي يخاطب من خلاله الشاعر نفسه التي جعلها بمنزلة المخاطب، و"هذا الأسلوب معروف ومشهور في الشعر العربي، لاسيما في مواقف التصبر واللوم والعتاب وغير ذلك، وهو يمثل انزياحا عن أسلوب الخطاب العادي"[136]

-تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وذكره ابن الرشيق تحت مصطلح الاستثناء، ومثاله قول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

---

[134] العلوي يحي بن حمزة، الطّراز المنير، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ط1 صيدا بيروت، 1423 هـ/ 2002 م، ج3، ص41.

[135] المرجع نفسه، ص41.

[136] مسعود بودوخة ، المرجع السابق، ص53.

بقول ابن الرشيق القيرواني: "جعل فلول السيف عيبا، وهو أوكد في المدح"[137]. وعقّب على بيت النابغة الجعدي:

فتى كمُلت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يبقي على المال باقيا.

"فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله، بعد أن وصفه بالكمال، وبهذا الاستثناء تم وزاد كمالا وتأكد حسنه".[138]

وأورد القزويني في الإيضاح توضيحا لهذا الأسلوب يبرز جماليته، حيث قال: "الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا، فإذا نطق المتكلم بـ (إلا) أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتا،... فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح، لكونه مدحا على مدح[139].

.

[137] ابن رشيق الحسن القيرواني، العمدة في محاسن عر وآدابه ونقده، تحقيق :ال عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422-ه2001م، ج،1 ص.384

[138] المرجع نفسه، ص 384

[139] القزويني، الإيضاح، ص.312

المحاضرة العاشرة:

التوازي والإيحاء

أولا: التوازي:

وهو مصطلح جاء به جاكبسون وقصد به التماثل، أي: "تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارات القائمة على الإزدواج الفني وترتبط ببعضها وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازية، سواء في الشعر أو النثر."[140]

ويعد التوازي حسب جاكبسون عنصرا مركزيا في تكوين الرسالة الشعرية، و"أكد على هذا المبدأ بعد أن قام بتحليل مئات من القصائد في خمس عشرة لغة مختلفة، فتوصل إلى أن التوازي ليس ظاهرة بلاغية خارجية، وإنما هو مبدأ تركيبي وعنصر ترتكز عليه كل دلالات النص." [141]

غير أن التوازي لا يعني أن تتكرر العناصر المتساوية والمتشابهة فقط، وإنما العناصر المتضادة والمتعارضة كذلك، حيث "تحكمه المشابهة وعدم المشابهة والترادف والتخالف".[142] فمطاهر التوازي يمكن أن تتجلى في "تشابه الأصوات المتماثلة أو المتشابهة أو المتضادة والكلمات المترادفة أو المتضادة أو المتخالفة، والتراكيب ذات العناصر النحوية المتشابهة أو المتعاكسة"[143].

ويتجلى التوازي في مظهره الصوتي بشكل خاص في ظاهرة التكرار الذي يقتضي التماثل فحسب، ويقع التركيز فيه على العناصر المتشابهة سواء كانت صوتية أم دلالية. وقد تنبه عدد من الباحثين في الأسلوب إلى "أهمية التكرار في التشكيل الأدبي والشعري بالخصوص، الشعر يقوم على أساس من تماثل

---

[140] عبد الواحد حسن الشيخ، البديع والتوازي، ط1، 1419هـ-1999م ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ص7.

[141] مسعود بودوخة، مرجع سابق، ص60

[142] خوسيه ماريا يوثويلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، تر:حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، القاهرة، 1992م، ص53

[143] مسعود بودوخة، مرجع سابق، ص60

البنى الصوتية والتركيبية"[144]، يقول جون كوهن: "لا شيء يظهر الطبيعة اللا تأثيرية للنثر في مقابل الشعر، أفضل من ظاهرة التكرار الذي هو محظور بشدة في النثر...شائع في الشعر".[145]

ويعد الوزن والقافية والجناس والسجع وغيرها من الظواهر التي قد تكون صوتية خالصة، أو صوتية دلالية معا، ينتج عنها الإيقاع من حيث إنه: "الإعادة المنتظمة داخل السلسلة المنطوقة لإحساسات سمعية متماثلة تكوّنها مختلف العناصر النغمية".[146]

وعالج البلاغيون المحسنات في باب البديع، ويقوم أغلبها على مراعاة علاقة صوتية أو دلالية يحكمها التماثل أو التخالف بين الوحدات.

وإن لم يكن البلاغيون قد وقفوا عند كل نوع من أنواع البديع بالتوجيه الفني والتعليل الجمالي، إلا أنهم انطلقوا من أن هذه الأنواع يؤتى بها لتحقيق فنية النص وجماله، ويتضح ذلك من خلال إطلاقهم مصطلح "محسنات"، وهي عندهم ذات غاية فنية وحاجة جمالية، تتمثل في تحقيق التناسب بين جميع أجزاء العمل. يقول محمد بن علي الجرجاني: "وجه حسن جميع المحسنات اللفظية هو وجه حسن الشعر، وهو التناسب، فإن الجنس ميال إلى الجنس، والطبع ميال إلى إيقاع المناسبة بين الأشياء، ونفاره من المتنافرات، فإن التناسب من الاعتدال، والنفس الكاملة مفطورة على محبته".[147]

ويذكر حازم القرطاجني أن التناسب لا يقتصر على المماثلة أو المشابهة، بل يتضمن المخالفة والتضاد كذلك، وكما يقول، "فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها، والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراهما تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام، وإن تناظر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد".[148]

---

[144] مسعود بودوخة، مرجع سابق ، ص61

[145] كوهن، النظرية الشعرية، ترجمة: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص.456.

[146] الزيدي توفيق، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص63

[147])الجرجاني محمد بن علي، الإشارات والتنبيهات في علم البالغة، تحقيق: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، 1982م،. ص.305

[148] القرطاجني، منهاج البلغاء، ص.45

ويبدو أن أهم مظاهر الإيقاع التي اهتم بها القدماء الوزن الشعري لما يتجلى فيه من بعد إيقاعي صريح، يتمثل في التناسب الزمني بين الحركة والسكون، وفي تكرار التفعيلات أفقيا وعموديا.[149]

ثانيا: الإيحاء

يعد الإيحاء مقوما هاما من مقومات الجمال الفني للأساليب، ويعرّفه المسدي بكونه "حضور دلالة في الكلام ليس في عناصره ما يرتبط بها مباشرة"[150]. والإيحاء وفقا لهذا المفهوم تعبير غير مباشر أو معنى ضمني يفهم من ثنايا النص، فاللغة كما يقول إيفانكوس: "لا تعيّن فقط أو تشير، وإنما هي توحي أيضا، وتمدنا بقيم مكملة للدلالة المباشرة".[151]

ويرى بعض الباحثين أن المدخل المناسب لدراسة لغة الأدب يتمثل في ظلال المعنى أو الإيحاء، وتتمثل حجتهم في كون "العمل الأدبي الفني ليس موضوعا بسيطا، بل هو تنظيم معقد بدرجة، وذو وسمة متراكبة، مع تعدد في المعاني والعلاقات"[152] ولذلك يجب عدم الاقتصار على الدلالات المباشرة فحسب، وإنما مراعاة الإيحاءات التي تنشأ من تعدد المعاني وتشابك العلاقات.

وكان عنصر الإيحاء بارزا في الدرس البلاغي العربي، إذ نجده في بعض تعريفاتهم للبلاغة من أنها الإيجاز، وأنها اللمحة الدالة، كما نجد في الدراسات البلاغية مصطلحات كثيرة تندرج في إطار المفهوم العام للإيحاء مثل التلميح، التلويح، التورية، الكناية، التخييل، الإيحاء، التضمين، التعريض، الإشارة، الإيهام، والإضمار.

وتتضن كتب البلاغة عبارات وإشارات تدل على اهتمام القدماء بالقدرات الإيحائية للغة، ومن ذلك ما يزخر به مؤلف الجاحظ "البيان والتبيين" من إشارات إلى إيحائية اللغة، ومنه قوله: "ورب قليل

---

[149] مسعود بودوخة، البلاغة العربية والمقولات الأسلوبية، ص63.

[150] المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص.174

[151] إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ص62.

[152] المرجع نفسه، ص.65 -67

يغني عن الكثير...بل رب كلمة تغني عن خطبة...بل رب كناية تغني عن الإفصاح".[153] وورد عنه أيضا: "ومما مدحوا به، الإيجاز والكلام الذي كالوحي والإشارة". ولعل أهم المصطلحات الدالة على الإيحاء عند البلاغيين: الإيجاز، والمجاز، والتخييل.

وتكاد تتفق تعريفات البلاغيين أن الإيجاز هو "البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ"[154]. وهو تعريف لا تخفى صلته بمفهوم الإيحاء، فالمعنى الكثير لا يمكن أن يعبر عنه باللفظ اليسير بطريق المباشرة، والتصريح بل يجب اللجوء إلى التلميح والإشارة والإيحاء، وهذه أهم ميزات لغة الأدب والشعر، فهي تميل إلى "الإيجاز والقصد في تأليف العبارات والاكتفاء بالمقدمات دون النتائج، والميل إلى الرمز والإشارة واللمحة، دون التصريح والتفسير".[155]

وبالرغم من كون حذف بعض عناصر التركيب أبرز آليات الإيجاز، إلا أن البلاغيين تفطنوا إلى أن من الإيجاز ما لا يقوم على الحذف، ولكن المعنى فيه أوسع من اللفظ، فقسموا الإيجاز إلى إيجاز بالحذف وإيجاز بالقِصر، يقول القزويني في حديثه عن الإيجاز: "وهو ضربان، أحدهما إيجاز القِصر، وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى: "ولكم في القصاص حياة" سورة البقرة، الآية 179، فإنه لا حذف فيه، مع أن معناه كثير يزيد عن لفظه...والضرب الثاني، إيجاز الحذف، وهو ما يكون بحذف".

ولم يتوسع البلاغيون في الحديث عن القيمة الجمالية للإيجاز، وإنما تحدثوا عن قيمة الحذف على نحو ما فعل الجرجاني. وتحدث آخرون عن اتساع التأويل في حال الحذف كقول ابن رشيق القيرواني في تعليله لبلاغة الحذف "وإنما كان...معدودا من أنواع البلاغة لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب، وكل معلوم فهو هين، لكونه محصورا".[156]

---

[153] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص.240.

[154]) الرماني، النكت، ص80

[155] ينظر: الشايب أحمد ، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط،12 القاهرة، 1998م، ص.71

[156]ابن رشيق، العمدة، ج،1 ص.253

المحاضرة الحادية عشرة:

النص والخطاب: دراسة في المفهوم

1- مفهوم النص:

تتمحور الدلالة الأصلية لمادة (نصص) في المعاجم العربية حول معنيين رئيسين أحدهما: الرفع والارتفاع، وثانيهما منتهى الشيء ومبلغ غايته. وتطور كلا المعنيين إلى معان أخرى، ومن ذلك أن التلازم بين الارتفاع والظهور مثلا، أدى إلى تطور معنى النص إلى الظهور والإظهار، ولهذا قيل: نص الكتاب والسنة: أي ما دل ظاهر لفظهما عليه[157].

وارتبط معنى النص عند الأصوليين بعملهم المتمثل في معرفة القواعد والأصول التي تفسر بها النصوص الشرعية، فقد عرف الشافعي (205 هـ) النص بأنه "المستغنى فيه بالتنزيل عن التأويل"[158] ، وذهب الغزالي (505 هـ) إلى مثل ذلك من خلال قوله أن النص "ما لا يتطرق اليه التأويل"،[159] غير أن الكثير من علماء الاصول لم يعتمدوا على التأويل معيارا لتحديد معنى النص، ونتلمس ذلك على سبيل التمثيل من خلال قول ابن حزم (465 هـ) بأن النص هو: "اللفظ الوارد في القرآن والسنة المستدل به على حكم الأشياء."[160]

وأما النحاة القدماء، فقد ورد عنهم الجذر (ن ص ص)، واستعملوه "فعلا ومصدرا واسم فاعل، واسم مفعول، ولم يستعملوه اسما، وهذا يعني أنه يدل عندهم على الحدث، ولم يتمحض للاسمية"[161].كما أن الدراسات الأدبية كانت تربط كل تجل نصي بحسب انتمائه إلى جنس معيّن من الأجناس الأدبية كالقصيدة أو القطعة أو الخطبة أو الرسالة أو المقامة.

---

[157] ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص4441.

[158] محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة،ص14.

[159] أبوحامد الغزالي، المنخول من تعليقات الأصول، ص165.

[160] علي بن أحمد بن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص43

[161] [161] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، بحث في الأطر المنهجية والنظرية، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، لبنان، ط1، 1436هـ-2015م، ص47.

وعرف استخدام كلمة (النص) تحولا دلاليا في الثقافة العربية المعاصرة لتدل على البناء اللغوي الذي يتجاوز حدود الجملة المفيدة، مثل ما تدل على ذلك كلمة (texte) ، وهي كلمة ذات أصل لاتيني تعني النسيج.

وتعد محاولة محمد مفتاح المحاولة الأولى لتحديد مفهوم النص في الدراسات اللسانية العربية الحديثة، حيث أصدر سنة 1985م مؤلفه (تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص)، واستخلص من خلاله تعريفا للنص باستقراء مفاهيم متعددة، فعرفه كمايلي:

-النص مدونة كلامية: أي أنه مؤلف من الكلام، وليس صورة فوتوغرافية أو رسما، أو عمارة، أو زيا

-وهو حدث يقع في زمان ومكان معينين، لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

-تواصلي: يهدف الى توصيل المعلومات والمعارف، ونقل التجارب الى المتلقي.

-تفاعلي: فلا تقتصر وظيفة النص على التواصل، بل هناك وظائف اخرى له، اهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين افراد المجتمع وتحافظ عليها.

-مغلق: والمقصود بذلك انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية.

-توالدي: فالنص، بوصفه حدثا لغويا ليس منبثقا من عدم، إنما هو متوالد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية، وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له[162].

وأنهى محمد مفتاح تعريفه بقوله :" النص، إذن مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة."[163]

وتلت المحاولة السابقة محاولة السعيد يقطين الذي اشتغل بتحليل الخطاب الروائي (انفتاح النص الروائي). وعرف النص قائلا :" النص بنيه دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية)، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة .[164]"

---

[162] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1992، ص119-120.

[163] المرج نفسه، ص120.

[164] السعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق،ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص32

فكون النص بنية دلالية يستوجب النظر إليه على أنه دليل ذو وجهين الدال والمدلول، وهو ينطوي على بنية صرفية ونحوية، وتتعالق هذه البنيات فيما بينها تعالقا ينبغي استحضاره في عمليات الوصف و والتحليل والتفسير.[165]

وتجدر الاشارة على ان دلالة النص متعددة، ويعود هذا التعدد الى عملية الإنتاج التي تعد تفاعلا مبدعا يحصل بين ذات المنشئ وذات المتلقي. ويتم إنتاج النص بفعل الكتابة، "أو يعاد إنتاجه بفعل القراءة وذلك ضمن بنية نصية منتجة سلفا، ومفاد ذلك أن الدلالة النصية تنتج انطلاقا من خلفية نصية، شكلت من خلال التفاعل مع نصوص سابقة، وفي مراحل متعددة، ويذكر يقطين أن هذه الخلفية النصية يمكن تمثيلها بالنص القابع في دواخل كل واحد منا."[166]و

كون النص ينتج في إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة، فهذا يعني أن النص أنتج في زمن تاريخي ضمن سياق ثقافي واجتماعي، وهذا السياق هو الذي يتحدد به، ولا يمكنه الخروج عنه، إنما يتفاعل معه بالإيجاب أو السلب، وبالقبول أو الرفض. لذلك ينبغي البحث عن تلك البنيات في النص، وعدم إسقاطها عليه من خارجه.[167]

وبعد المحاولتين السابقتين توالت محاولات الباحثين العرب لتحديد مفهوم النص، ومن بينهم صلاح فضل في مؤلفه (بلاغه الخطاب وعلم النص) الذي يرى أنه يجب القيام ببناء مفهوم للنص انطلاقا مما قدمته البحوث البنيوية والسيميولوجية، وعدم الاعتداد كثيرا بالامتداد الطولي لتحديده، ونبه إلى عدم الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة التي تقوم على مراعاة مستوى واحد للخطاب، يتمثل في السطح اللغوي ودلالته، وأبدى تفاعلا كبيرا مع مقاربة كريستيفا للنص، ووافقه في ذلك أحمد عفيفي في كتابه (نحو النص).[168]

وعرف فريق من الباحثين النص بمراعاة قضية امتداده الطولي وأغفلوا الجوانب المتعلقة بالسياق

[165] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، ص71.

[166] المرجع نفسه، ص71-72.

[167] المرجع نفسه، ص72

[168] المرجع نفسه، ص73-74.

وظروف مصاحبة لإنتاج النص أو تاويله، يقول طه عبد الرحمن: "كل نص هو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات. "[169] وهو توجه انتقده بعض الباحثين لقيامه على إقصاء جوانب مهمة يجب استحضارها عند دراسة النص .

وعرف حسن البحيري النص من منظور تواصلي بقوله: "النص إذن مجموعة من الأفعال الكلامية، التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي، ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بتغير مضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل."[170]

وعرف باحثون آخرون النص من منظور تواصلي تداولي، فلم ينظروا الى التواصل باعتباره عنصرا أساسيا في لسانيات النص أو الخطاب فحسب، وإنما تجاوزوا ذلك إلى الوقوف عند مفهوم التواصل أو الكفاية التواصلية وتناوله بالتفسير، ووفقا لهذا التوجه، عرف عبد الهادي الشهري بالنص بأنه: " نشاط اجتماعي يتم بين طرفين أو أكثر، ويكون منظما حسب مقتضيات اللغة المستعملة فيه، وذلك لتنسيق علاقات الناس. "[171]

ودلالة النص وفقا للمنظور التواصلي لا تتحدد بما توحي به عباراته حرفيا من معان صريحة، فلابد من الاعتماد على السياقات أو الظروف التي ينجز فيها النص (المعاني الضمنية) لتحديدها.

ويعتبر الباحثان إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد التواصل من الشروط الأساسية في تحديد النص، ويتضح ذلك من خلال قولهما في تعريفه: "إنه واقعة اتصالية تلبي سبعة معايير للنصية. وإذا اعتبر أحد هذه المعايير السبعة غير متحقق، فآن النص لا يتسم بالاتصالية آنذاك." [172] وتتمثل المعايير التي تحدثا عنها في تلك التي وضعها دي بوغراند ودريسلر. فأهم ما جاء به هذان الباحثان هو مفهوم (النصية) الذي وضعا له سبعة معايير إذا توفرت في أي إنتاج لغوي عد نصا، وإن افتقد أحدها لم يكن كذلك، وتتمثل هذه المعايير في العناصر التالي:

---

[169] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 35.

[170] سعيد حسن البحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص133.

[171] عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص10

[172] إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص25.

1 الاتساق : (Cohésion) يقصد به ما يحدث ترابط بين أجزاء النص بوساطة عناصر لغوية مثل الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات العطف والاستبدال والحذف و المقارنة وغيرها .

2 الانسجام : (cohérence) ويعبر به عن الكيفية التي يتحقق وفقها الترابط بين مجموعة المفاهيم المكونة للنص كالعلاقات المنطقية، والسببية ، والعموم والخصوص ، والمعلومات المتوافدة عن تنظيم الأحداث والموضوعات والمواقف وغيرها .

3 القصدية : (intentionnalité) ويعنى بها قصدية منتج النص لتوفير الاتساق والانسجام في نصه، بأن يخطط له ويهدف من خلاله إلى غاية يسعى لتحقيقها

3 المقبولية : (acceptabilité) (التقبلية) أي تقبل المتلقي للنص بوصفه متسقا ومنسجما.

5 المقامية (الموقفية) (situationalité) أن يكون النص مشتملا على العوامل التي تجعله مفيدا في مقام معين.

6 الإعلامية (informativité): وهي القدر الذي يحمله النص من المعلومات، أي احتوائه على مضمون يراد إبلاغه للمتلقي.

7 التناص(intertextualité) : ويعني العلاقة بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة به، (نصوص متقدمة عليه) يتم التعرف عليها بخبرة سابقة.

2 –مفهوم الخطاب:

ورد في لسان العرب: "الخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال...الخِطَابُ والمخَاطَبَة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان..."[173]وفي المعجم الوسيط: " (خاطبه) مُخَاطبَة وخطابا كالمه وحادثه وَوجه إلَيْه كلَاما وَيقُال خاطبه في الْأَمر حَدثهُ بشَأْنه، و (الخْطاب) الْكَلَام... "[174] فالخطاب إذن هو توجيه الكلام للغير، وتقيده تعريفات أخرى بقصد

[173] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مج 1،بيروت، مادة (خ ط ب)، ص360..

[174] _ مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ج1 ، ص243 .

الإفهام، ليدل بذلك على توجيه الكلام نحو الغير بغرض الإفهام[175]. يقول أبو البقاء الكفوي: "الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام."[176]وفي الإحكام: "هو: "اللّفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه." [177]وفي هذا التعريف الأخير قيد آخر يتعلق بقابلية المخاطب واستعداده لفهم الخطاب.

ولتحديد مفهوم الخطاب في الدراسات الغربية، وردت في الموسوعة العالمية إشارة إلى ارتباط الكلمة الإنجليزية (Discourse) بالكلمة اللاتينية (Discursus) المأخوذة من الفعل (Discurrere) والتي كانت تعني: "جرى هنا وهناك"، في حال التسليم بذلك الربط يعرف الخطاب بكونه "جري " من متكلم إلى سامع أو قارئ، وعلى أساس هذا الجذر أوردت الموسوعة تفسيرا للخطاب بمعنى كل ما ينطلق من ملكة الكلام بمعنى قال وتكلم. ويشير "ككورك" إلى أن هذا التحديد يتضمن بعد "إجراء التلفظ" الذي يحقق المتكلم اللغة من خلاله في كلام. ومن هنا يلاحظ الانتقال من معنى "جرى هنا وهناك" إلى معنى "تكلم طويلا". [178]

وفي قاموس أوكسفورد الموجز للغة الإنجليزية ورد تعريف ليس ببعيد عن التعريف السابق، حيث ينص على أن الخطاب هو: "...الاتصال عبر الكلام أو المحادثة، القدرة على المناقشة..."[179] وعرف كذلك بوصفه استعمالا للغة يرتبط بشروط إني تعريف آخر: "الخطاب هو استعمال بين الناس لعلامات صوتية مركبة لتبليغ رغباتهم أو آرائهم في الأشياء...فيتصور بذلك إقحام للنص في مقامه، ظروف إنتاجه وتقبله"[180].

---

[175] زكرياء الأنصاري وزين الدين أبو يحي السنيكي، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، دط، 1411هـ، 1991م، ص 419.

[176] معجم الكليات، إعداد وفهرسة: محمود درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص419.

[177] أبو الحسن الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح:عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1، ص 95.

[178] [178] ينظر: ربيعة العربي: الحد بين النص والخطاب، ص33-34

[179] The shorterOxford English Dictionary on historical principles, p563.

[180] باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناتى،تونس، 2008م، ص180،181.

3- البعد المعرفي:

عرف استخدام مصطلحي النص والخطاب اضطرابا كبيرا لدا الدارسين، كما أنا محاولة التمييز بينهما أدت إلى اختلافهم وتباين آرائهم، ويمكن من خلال مقارباتهم التمييز بين اتجاهين:

أ-اتجاه يميز بين النص والخطاب:

أدى الاهتمام بالبعد التواصلي للغة إلى توجه الباحثين إلى تحديدات عديدة للنص في علاقته بالخطاب، وهي تختلف باختلاف المناهج النظرية وأهدافها في التحليل. ويعد التمييز بين المصطلحين أمرا بديهيا في العلوم اللغوية الفرنسية في شتى مجالات المعرفة. ومن تلك التحديدات ما ميز به كريماس وكورتيس النص عن الخطاب "انطلاقا من صيغة التعبير التي تحدد ماهيته، باعتباره لفظا، أي نتاجا. كما تحدد ماهية الخطاب باعتباره إجراء وتلفظا يخول للنص أن يتحول إلى خطاب. من ثمة يصبح النص مادة خاما، إنه مضمون أو ملفوظ قابل لأن يتجسد في خطاب."[181]

واستحضار البعد المنطوق في علاقته بالبعد المكتوب نجده واردا كذلك عند ديفيد كرستال الذي يرى أن تحليل النص يختص بتحليل اللغة المكتوبة، وأن تحليل الخطاب يختص بتحليل اللغة المنطوقة، غير أنه بعد ذلك صرح بأن التحليل اللغوي يستغرق الوحدات المكتوبة والمنطوقة مع تحديد "الوظيفة التواصلية" سواء كان المحلل نصا أو خطابا. [182]

لغويا ذا بعد فكري استراتيجي تتداخل فيه أنظمة اللغة مع بعضها ومع غيرها مشكلة الخطاب". [183] وانتهى محمد مفتاح بعد محاولة التوفيق بين مختلف الاتجاهات والوقوف على ما تنطوي عليه من أوجه التباين إلى تقديم تعريف للنص سبق عرضه.

ب-أتجاه لا يميز بين النص والخطاب:

يحدد كارتر ومكارتي النص بمعيار غير النطق والكتابة، يتمثل في التلاحم، حيث يعتبران أن كل متوالية متلاحمة تشكل نصا، سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، وتجدر الإشارة إلى أن فان ديك "يؤسس

---

[181] ربيعة العربي: الحد بين النص والخطاب، ص39

[182] علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، 35.

[183] عبد المالك مرتاض، دراسة سيميائية، 55.

التلاحم على نمطين من العلاقات: العلاقات الإحالية بين الوقائع في عالم ممكن، إذ الخطاب لا يكون متلاحما في المجرد، و إنما يكون متلاحما بالنظر إلى وضع سوسيو ثقافي محدد، والعلاقات بين المعاني المتضمنة في النص"[184] .والنوعان من العلاقات لا يمكن إغفالهما في تحديد الخطاب، فهو محكوم بالوسائل اللغوية (الشكلية)، بالعوامل الخارجية التي ترتبط بالوضع التواصلي الذي يتم إنجازه فيه. وفي هذا السياق، ويؤكد راستيي على أنه يجب وصل وجود النص بوجود الملفوظ، وأنه يستحيل تصور كون النص سابقا للملفوظ من حيث الوجود ويؤكد على أن: "السياق هو النص كله لكونه محددا له، فهو مكون من مكوناته سواء تعلق الأمر بالمضمون أو التعبير." [185] وينتهي إلى أن التمييز بين النص والخطاب غير ممكن سواء من الناحية النظرية أو المنهجية، فهما يتواجدان في المستوى الانطولوجي ذاته. والملاحظ أن النظريات التي تتبنى السياق التواصلي يصعب فيها التفريق بين النص والخطاب، نلاحظ بأن مفهوم النص يقترب بل يتماهى مع مفهوم الخطاب في التصورات التي تدرج بعد السياق التواصلي نتيجة لبعدهما التداولي.[186]

وفي بعض الأحيان، يصبح الخطاب أعم من النص، وذلك يستنتج من تعريف محمد مفتاح إذ يقول:

" ...إن النص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة، وإن الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة. ونعنى بالتنضيد ما يضمن العلاقة بين أجزاء النص والخطاب مثل أدوات العطف وغيرها من الروابط، وبالتنسيق ما يحتوي أنواع العلائق بين الكلمات المعجمية، وبالانسجام ما يكون من علاقة بين عالم النص وعالم الوقائع" [187]. وقد يحدث العكس، ويصبح النص أعم من الخطاب، وهو ما ذهب إليه سعيد يقطين. ويذكر ككورك أن الذي يميز بين المصطلحين هو المجال الذي يستخدمان فيه، وليس التعريف الذي يفرد به كل منهما. فاستعمال مصطلح النص يكون أساسا في مجال الأدب، أما الخطاب ففي مجال اللسانيات. ويذهب فنكبنوند (هذين المفهومين بالمجال إلى أن مفهوم الخطاب تداولته الدراسات الأمريكية والبريطانية التي اعتمدت على دراسة المظهر الشفوي

[184] ربيعة العربي: الحد بين النص والخطاب، ص41.

[185] المرجع نفسه، ص41-42.

[186] المرجع نفسه، 42.

[187] التشابه والاختلاف: (نحو منهجية شمولية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب-بيروت، لبنان،ط1، 1996، ص35.

للغة، أما مفهوم النص، فاستخدمه الباحثون الأوروبيون لاهتمامهم بربط الخطاب بسياقه الاجتماعي.[188]

المحاضرة الثانية عشرة:

تحليل الخطاب: المقاربات اللسانية

اعتبرت الجملة أكبر وحدة للتحليل اللساني لفترة طويلة، ولذلك لم يتخط الباحثون في علوم اللغة حدودها في مرحلة اللسانيات التاريخية المقارنة التي ميزت القرن التاسع عشر، ومرحلة اللسانيات البنيوية التي كان دو سوسور رائدا لها مع بدايات القرن العشرين، فاللسانيات التوليدية التحويلية التي ظهرت بفضل أعمال تشومسكي في منتصف القرن العشرين، بالرغم ما تضمنته مقولاتهم مما يمكن أن يستثمر في علم النص.

وبقيت الدراسات اللسانية إلى غاية الستينات تنظر إلى الجملة على أنها أعلى وحدة قابلة للوصف اللساني في المستوى الصرفي–التركيبي والدلالي، وكان علماء اللسان عامة يصفون الجمل كل منها منفصلة عن الأخرى، أو قد يأخذون بالحساب متوالية من الجمل التي ينظرون إليها باعتبارها مركبا جمليا.[189] وتتضح نظرة اللسانيين هذه في تعريف بلومفيلد للجملة إذ يقول: " هي مركب لا يكون في قول ما جزءا من مركب أكبر منه."[190] واستبعد الباحثون الذين اعتمدوا الجملة وحدة للتحليل العوامل الاجتماعية والتواصلية، كما أنهم "لم ينظروا إلى السياق اللغوي في علاقته بأحوال الخطاب ومقتضيات التواصل اللغوي وملابساته المختلفة"[191]، ليس لعدم وعيهم بذلك، وإنما لكونهم يرون أن ذلك لا تقتضيه دراستهم للغة ومناهج تحليلهم لها.

---

[188] ربيعة العربي، الحدبين النص والخطاب، ص42.

[189] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، بحث في الأطر المنهجية والنظرية، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، لبنان، ط1، 1436هـ-2015م، ص26.

[190] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، ط1، جامعة منوبة، كلية الآداب والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001م، ج1، ص37.

[191] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، مرجع سابق، ص26.

وشهد الدرس اللساني في منتصف الستينات إلى بداية السبعينات تقريبا تحولا كبيرا، حيث انتقل اهتمام بعض العلماء من دراسة أنظمة اللغة التي سادت في أوساط اللسانيين في ظل المدارس البنيوية الأوربية والأمريكية إلى دراسة البعد التواصلي والوظيف للنشاط اللغوي. واتجهوا بالبحث اللساني إلى مقاربة منهجية تعنى بالاستعمال الفعلي للغة في الأحداث التواصلية، إذ يرى هؤلاء أن" الكلمات ليس لها معان، وإنما لها استعمالات، وأن هذه الاستعمالات تخرج بها من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك كما أن معنى الكلمة يكمن في استخدامها...".[192]

وورد في دراسات كثيرة أن أول محاولة اتجهت لدراسة النص تعود إلى سنة 1952م، حيث أعد زيليج هاريس بحثا موسوما ب: " تحليل الخطاب (discourse analysis) "، وانصب اهتمامه فيه حول توزيع عناصر اللغة في النصوص المطولة، وقد نبه من خلاله إلى مسألتين مهمتين:[193]

المسألة الأولى: نبه هاريس في مؤلفه السابق إلى أنه من الضروري أن تتجاوز الأبحاث اللسانية في تحليلاتها النحوية حدود الجملة، إذ يرى أن اللغة " لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة، بدءا من المونولوج وانتهاء بمناظرة جماعية مطولة، لذا يجب تحليل الجمل دائما فقط في سياق النصوص، على أنها أجزاء من خطاب أعم."[194]

المسألة الثانية: نبه هاريس إلى أنه من الضروري ربط اللغة بالسلوك والثقافة، وإبراز علاقتها بهما، فهو يرى أن سبب عدم اهتمام الباحثين بهذا الجانب يعود إلى اعتبارهم للمسائل المتعلقة بمظاهر السلوك والثقافة خارج دائرة اللغة.

والحقيقة أن هاريس حاول نقل وسائل التحليل البنيوي للجملة (التقطيع والتصنيف والتوزيع) إلى مستوى النص لتوصيفه توصيفا بنيويا، ويرى محمد الشاوش أن أعمال هاريس تمثل البدايات الفعلية لتحليل الخطاب، ولكن لا تعد مؤسسة لعلم جديد، بقدر ما كانت محاولة لتعديل نظريته ونقل

---

[192] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط2، مؤسسة المختار، القاهرة، 2010م، ص38.

[193] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، مرجع سابق، ص28.

[194] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، سلسلة اللغويات الجرمانية، الرياض، 1999م، ص21.

مناهج التحليل البنيوية التوزيعية إلى مستوى النص.[195] ومن الانتقادات التي وجهت له كونه انتهج طرقا شكلية في تحليل الحديث والكتابة، فكان يصف البنى اللغوية مجردة من المعنى، وبالإضافة إلى ذلك، لم يلتزم هاريس في بحثه بما نبه إليه من ضرورة إقامة علاقة بين ظواهر اللغة والمسائل المتعلقة بالسلوك والثقافة.

وقدم هارتمان عام 1964م إسهامات هامة حول النص، ويرى هاينه أن فرضياته حول علم النص فتحت آفاقا جديدة للبحث اللغوي عامة. ومما نبه إليه: [196]

-يعد نصا "كل استعمال للغة في شكله الاتصالي أو الاجتماعي.

-النصوص هي الرموز اللغوية الأصيلة وليست الجمل، فالنصوص هي الوحدات التي تتحقق وفقها عمليات الاتصال اللغوية، واللغات ذات الكفاية والقيمة اللغوية هي وحدها التي تستخدم للتواصل.

- ضرورة الاهتمام بالعلاقة بين المرسل والنص والمتلقي، والسياق الذي يرد فيه النص، وهو ما أطلق عليه هارتمان (سياق الورود).

- اتباع المنهج التطوري في التحليل اللغوي بالانطلاق من النص لاستخراج الجمل وعناصره الأخرى، وهذا التوجه يختلف عن المنحى اللساني الذي ينطلق من الجملة إلى النص.

وقام هارتمان بالتفريق بين أنواع النصوص، ويعد إسهامه الأول في الموضوع، كما فرق بين ما تشترك فيه اللغات من ظواهر في بناء النص، والظواهر التي تختص بها لغة بعينها.[197]

ولكن إسهامات هارتمان وغيره ممن حاولوا لفت الانتباه إلى أهمية الانتقال من دراسة الجملة إلى النص في هذه المرحلة تفتقر إلى وسائل منهجية خاصة تتيح مقاربة النص، فقد اعتمدت الوسائل نفسها التي قامت عليها دراسة الجمل.

---

[195] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، مرجع سابق، ص28-29، ومحمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مرجع سابق، ج1، ص38-39.

[196] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، مرجع سابق، ص22.

[197] المرجع نفسه، ص22.

وقدمت رقية حسن عام 1968م ثلاثة أبحاث وسمتها ب: (الاتساق النحوي في اللغة الإنجليزية المنطوقة والمكتوبة). عرضت في الأول منها مفاهيم نظرية نحو: مفهوم النص، ومفهوم الاتساق وعلاقته ببنية اللغة والسياق اللغوي. وتناولت في البحث الثاني الإحالة ووسائلها في اللغة الإنجليزية، وتتمثل في علاقات دلالية يتم التعبير عنها بوسائل نحوية، هي: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة. وقسمت الإحالة إلى قسمين: إحالة سياقية وإحالة مقامية، كما قسمت الإحالة السياقية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية. وخصصت البحث الثالث لدراسة ظاهرة الاستبدال التي تتمثل في استبدال عنصر بآخر في السياق اللغوي. ويعد الاستبدال وسيلة من وسائل الإحالة، ويختلف عن النوع السابق بكونه يقع في المستوى النحوي المعجمي. [198]

وقدمت رقية حسن بعد ذلك ثلاثة بحوث أخرى شاركها في إنجازها الباحث الإنجليزي هاليداي، وتم نشرها تحت عنوان: (المنهج المدرسي في اللسانيات وتعليم اللغة الإنجليزية). وتناول الباحثان من خلالها وسائل الاتساق الأخرى، وهي: الحذف، والوصل، والاتساق المعجمي الذي تم تفريعه إلى قسمين هما: التكرار والتضام (التلازم اللفظي). وأصدر الباحثان عام 1976م كتابا بعنوان: (الاتساق في اللغة الإنجليزية) نشرا فيه البحوث الثلاثة الأولى لرقية حسن والبحوث الثلاثة الأخيرة التي اشتركت فيها مع هاليداي، وتم ذلك تحت إشرافه، وقد أضاف إلى البحوث السابقة إسهاما خاصا شكل فصلين من فصول الكتاب الثمانية التي حوى كل منها بحثا من البحوث المنجزة. وتمثل إسهام هاليداي في إعادة صياغة المفاهيم النظرية التي عرضتها رقية حسن حول الاتساق في بحثها الأول، كما قدم دراسة تطبيقية اعتمد فيها على مفهوم الرابط (نوع العلاقة بين العنصر الاتساقي والعنصر المفترض) لتحليل النصوص. [199]

ويمكن القول إن الجهد المبذول في الكتاب انصب حول كيفية تحقق اتساق النص، بل تجاوز ذلك إلى البحث عن المقومات التي تجعل من عينة لغوية ما نصا. [200] وتصنف نظريات هاليداي ضمن الاتجاه الوظيفي الذي يعتمد على النص، ويرى أن اللغة استعمال، ولكنه استبدل بالوظيفة المعنى، لأن الوظيفة بالنسبة له هي المعنى. ويرى هاليداي أن النص والسياق يتداخلان، فالسياق هو النص الخفي الذي

---

[198] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، ص31.

[199] المرجع نفسه، ص32.

[200] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص11

يصاحب النص الظاهر، ويتجلى في الظروف والأحوال التي تحيط بإنتاج النص. وتعد نظرته هذه إلى السياق امتدادا لاتجاه فيرث ونظريته السياقية. وحدد هاليداي وظائف المعنى في وظيفتين هما:

1-التماسك، "أي جعل اللغة المنطوقة أو المكتوبة تمثل نصا متماسكا متوحدا، بدل أن يكون مجموعة من الجمل المتراصة، وذلك بوسائل مختلفة كالربط، والإضمار، والإشارة وغيرها."[201]

2-الإبراز، "أي إبراز أجزاء معينة من النص، من خلال التركيز عليها، ولفت الانتباه إليها، بالاعتماد على بعض الوسائل كالنبر أو الإشارات."[202]

وتجدر الإشارة إلى أن أعمال هاليداي وغيرها من الأعمال التي سارت في الاتجاه نفسه، وإن كانت قد سعت إلى إرساء أسس لسانيات ما وراء الجملة بما أعدته من مفاهيم حول النص والخطاب مع ربطهما بالسياق الخارجي من محيط ثقافي واجتماعي وغيرهما، إلى أنه في هذه المرحلة الثانية من مراحل نشأة لسانيات النص، مفهوم النص "لم يتعد كونه متتالية من الجمل أو وحدة أكبر من الجملة، وسرعان ما كشف هذا الأمر عن عدم جدواه النظري والمنهجي وقصوره الفعلي في الوقوف على حقيقة النص الخطاب."[203]

وشهدت السبعينيات من القرن العشرين المرحلة الثالثة للسانيات النص، وحاول فيها الباحثون إيجاد نظريات بديلة للتي كانت سائدة في المرحلة السابقة، وبرز عدة دارسين في هذا المجال نحو: فان دايك، وبيتوفي ، ودريسلر، ودي بوجراند،...ومما ميز أعمال هذه المرحلة انفتاحها على حقول معرفية كثيرة، مثل الأدب، وعلمي النفس والاجتماع، والذكاء الاصطناعي. ويذهب الكثير من الباحثين إلى أن فان دايك هو مؤسس لسانيات النص، حيث قدم تصورا متكاملا عن النص في مؤلفه الأول الذي صدر عام 1972م تحت عنوان: (بعض مظاهر أنحاء النص)، كما أصدر سنة 1977م كتابه الثاني (النص والسياق). وكان ينطلق في أبحاثه من تحليل سيكو لساني للنص، سعى من خلاله إلى الربط بين الدلالة

[201] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، ص،33.

[202] المرجع نفسه، ص،33.

[203] المرجع نفسه، ص34.

والتداولية، فكان من أهم ما تناوله بالبحث: "الترابط، والاتساق، ومحل الخطاب، والعلاقات بين الجوانب الدلالية والتداولية للخطاب."[204]

وقد صرّح فان ديك بأن مسائل الدلالة والتداولية شكلت الهدف من تأليفه لكتابه الثاني، ومن أهم الموضوعات التي تناولها بالاستقصاء والدراسة "التعلق بين الجملة المؤلفة من جهة أولى، ومتوالية الجمل من جهة ثانية."[205]وقد اهتم فان دايك بالدرجة الأولى بالسياق التداولي، و"الدراسة التداولية للنصوص تؤول النص بوصفه فعلا لغويا، أو بوصفه سلسلة من الأفعال اللغوية، مثل الوعود ، والتهديدات ، والأسئلة والمطالب ....الخ "[206].

وألّف فان دايك كتابا آخر وسمه ب: (علم النص مدخل متداخل الاختصاصات)، ومن خلال هذا العنوان يتضح أن هذا العلم لا يرتكز على اللسانيات فقط، وإنما ينفتح على الكثير من العلوم الأخرى، وهو الشيء الذي صرّح به المؤلف نفسه، ومن تلك العلوم: البلاغة، وعلم الأسلوب، وعلم النفس، وعلوم التربية، والعلوم الاجتماعية، والانتربولوجيا، وغيرها كثير، من العلوم التي يتأثر بها منهجه وتتعدل وفقها مقاربته للظاهر اللغوية. وقد بيّن في مقدمة الكتاب أنه يستهدف من خلال مؤلَفه طلابا متخصصين وباحثين من مشارب مختلفة، قام بذكرها.

وأما العلم السابق لعلم النص، فيتمثل عند فان دايك في البلاغة، فهي تعنى بوصف النصوص وتحديد وظائفها، غير أنها ترتبط بأشكال وأنماط معيّنة من الأساليب، ولذلك اتجه الباحث إلى استخدام مفهوم أشمل، يتمثل في (علم النص).

[204]المرجع نفسه، ص35.

[205] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، ص35.

[206]المرجع نفسه، ص36.

المحاضرة الثالثة عشرة:

تحليل الخطاب: المقاربات النقدية

تهتم نظرية النص بالنصوص الإبداعية دون الأنماط الأخرى، وظهرت نتيجة التحول الكبير الذي شهده الدراسات النقدية، والتي استطاعت القضاء على النظرة الوظيفية التي تميزت بها الدراسات النقدية القديمة والتي كانت "تنظر إلى النص على أنه مجموعة من الشهادات والوثائق التي تصور مرحلة تاريخية محددة دون أن تغامر في البحث عن مكنوناته الجمالية والأدبية وتمظهراته البنيوية"[207]

فقد أدت المناهج النقدية التقليدية إلى التمييز بين الأجناس الأدبية تمييزا اعتباطيا، واحتفت بالمضمون على حساب الجوانب الجمالية والفنية للنصوص، مما جعل النظرية الحديثة تتوخى في تحليلها للنصوص وتحديد المفاهيم منهجا يتسم بنوع من الصرامة والدقة. وما من شك أن استخدامها المفاهيم المحددة واستبعادها للتي تحمل دلالات مجازية، مع اعتمادها على الوسائل الإجرائية مما يضمن نجاح مقاربة النص على اختلاف أجناسه ومستوياته وتعدد أغراضه. وعرفت الساحة النقدية مجموعة من المناهج، سعت كلها إلى الوقوف على دلالة النص وجمالياته.

وانطلقت المحاولات الأولى التي اهتمت بالنص وسعت إلى إقامة دراسة منهجية حوله على أسس علمية من النظرية البنيوية، وتذهب أغلب المقاربات التي تندرج تحت هذه النظرية أن "النص بنية لغوية قائمة بذاتها وأنها ذات مدار مغلق."[208]فالاستقلالية والانغلاق –حسب تودوروف–تعدان من أهم محددات النص الذي ينبغي النظر إليه باعتباره يمثل نظاما خاصا به، ويجب أن لا يساوى بالنظام الذي يتم وفقه تركيب الجمل، بقدر ما يوضع معه في علاقة سمتها التشابه والتجاور. وإذا كانت الجملة تتحقق وفق محددات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية تميزها، فإن النص يتميز بالأوجه الآتية:[209]

–الوجه الكلامي (الشفوي): ويتركب من جميع العناصر التي تتضمنها الجملة في المستوى الصوتي والقاعدي...

---

[207]، ص17 خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة

[208] المرجع نفسه، ص18.

[209]منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004، ص109–110.

-الوجه النحوي: وهو وجه يختلف عن نحو الجمل، فهو لا يهتم بالعلاقات بين الكلمات، وإنما بالعلاقات بين وحدات أعلى: تتمثل في: الجمل، ومجموعات من الجمل...

-الوجه الدلالي: ويتمثل فيما تنتجه عناصر اللغة من مضمون دلالي.

وتأثر العديد من المنظرين بأفكار دوسوسور وتصوراته، فصارت المقاربة اللسانية نموذجا تبنوه، واستعاروا منه بعض المفاهيم مثل: النسق، والاعتباطية، والقيمة وغيرها، وانطلقوا في منحاهم من كون الأدب نظاما دلاليا، مما يجعل اللغة تؤثر فيه تأثيرا مركزيا. وفي ضوء ذلك، فهو يمثل مجالا تطبيقيا مثاليا لمبادئ البحث اللساني ومقولاته. [210]

واهتمام الباحثين بدراسة الأدب بوصفه نظاما دلاليا دفعهم إلى التركيز على استكشاف علاقاته، وتحديد مميزات طبيعته، وهو ما عبروا عنه بمصطلح (الأدبية)، ومن هذا المنطلق أصبح "موضوع العلم الادبي ليس هو الأدب، وإنما الأدبية، أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا."[211]وقاد هذا المذهب الفكري إلى التوجه نحو القول باستقلالية النص الأدبي عن سياق تلقيه وظروف انتاجه وملابساتهما، و"أصبحت مقاربة الأجناس الأدبية تتمحور على تفسير القوانين المجردة للأدب وصياغتها."[212]

ومن العلماء الذين سلكوا هذا المنهج رولان بارت، ويتضح اتجاهه البنيوي جليا في مقاله الذي ألفه في أواخر الستينات عن (نظرية النص)، وهو يرى "أن النص الأدبي ليس وثيقة تعتمد لمعرفة بيئة الأديب وعصره مثل ما يراه أصحاب النقد الأكاديمي، وإنما النص في حد ذاته هدف، فالأدب ليس إلا لغة، أي نظام من العلامات وليس جوهره في الرسالة التي يحملها، وإنما هو في نظامه بالذات."[213]

ويتلخص مفهوم بارت للنص فيما يلي:[214]

1 النص مجرد نشاط، يعد وضع المؤلف فيه مجرد وضع احتكاك...، ومن ثم فهو يحيل على غياب المؤلف ويبدد مفهوم الانتماء.

---

[210] استراتيجية التأويل، ص21.

[211] نظرية المنهج الشكلي، ص35.

[212] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، ص19.

[213] المرجع نفسه، ص19-20.

[214] المرجع نفسه، ص20-21

2 -يتميز النص الأدبي بتأجيل متواصل للمعنى، وبالاعتماد على الإيحاء.

3 يعد النص مفتوحا ، تختلف دلالاته وتتعدد بتعدد قراءته، مما جعل القراءة تعرف بإعاده انتاج للنص.

وقدمت جوليا كريستيفا مفهوما عن النص والتناص يقترب من المفاهيم السابقة، فالنص عندها: "جهاز عبر لساني، يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذا إنتاجية، وهو ما يعني

أ_ أن علاقته باللغة التي يتموقع داخلها هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءة)، ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[215].

تنتمي أفكار كريستيفا إلى فترة مابعد البنيوية، فهي ترفض فكرة (النص المغلق) التي انطلق منها البنيويون، وترى أن النصوص والخطابات تتداخل فيما بينها، ولذلك فكل "نص يتشكل كفسيفساء من الاستشهادات، كل نص هو امتصاص وتحويل لنصوص سابقة أخرى، كل نص هو مجال تناصي، ثوره لتفاعل مجموعة من النصوص السابقة عليه والمتزامنة معه التي يستدعيها ويستحضرها في سياقه "[216].

والنص وفقا للتوجه السابق لم يعد منتجا لدلالة واحدة، وإنما يعد دالا يبحث عن مدلوله باستمرار، و"إن وجده، ولن يجده مطلقا، يتحول إلى دال جديد وسلسلة لا نهائية من الآثار الخلافية التي لا تكف عن توليد غيرها، فكرة التناص إذا لا تشير إلى فكرة العلاقات النصية المحددة، فالتناص بوصفه استراتيجية تأويلية يفتح النص على آثار لا نهائية، وتتم عملية تأويله ضمن إطار نص المجتمع والتاريخ (الثقافة)، وتجتهد كل قراءة في أن تفترض شبكة من العلاقات، تتغير مع كل قراءة."

وقادت التصورات السابقة إلى ظهور النظرية التفكيكية التي نفى من خلالها دريدا علاقة التوحد بين الدال والمدلول، وهذه النظرية -حسب عبد العزيز حمودة- لم تقف فقط عند فكرة تعددية الدلالة ولم

[215] جوليا كرستيفا، علم النص، ص21.

[216] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، ص22.

تشكل بأي حال من الأحوال هدفا من أهدافها، وإنما الذي كانت تسعى إليه وتقصده هو مبدأ لا نهائية الدلالة الذي يعني "فقدان النص القدرة على انتاج المعاني."[217]

وبعيدا عن نظرية التفكيك، انتهج أمبرتو إيكو منهجا فلسفيا عقلانيا، فهو يرى أن تأويل النصوص نشاط سيميائي يخضع لقواعد ومعايير، حيث تحكم حرية تأويلاته قواعده لسانية وسيميائية بوصف هذه الحرية تشكل جزءا من آليته التوليدية، مما يستوجب النظر إلى النص باعتباره وسيطا (Parametre) لتأويلاته الخاصة. ومن مبادئ إيكو أن النص الذي يتم تأويله يفرض قيودا على مؤوله، مما يعني أن مدار البحث قصد النص وليس قصد منتجه، كما أنه يدعو إلى الاعتماد على المعنى الحرفي الذي لا يحتاج إلى جهد تأويلي.[218]

[217] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، ص22-23

[218] المرجع نفسه، ص25

المصادر المراجع:

-ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشّ شاعر، تحقيق: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط،1 بيروت، 1419 هـ/ 1998م.

-ابن ذريل عدنان، اللغة والأسلوب، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 1980.

-ابن رشيق الحسن القيرواني، العمدة في محاسن عر وآدابه ونقده، تحقيق :ال عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422-هـ2001م.

-أبو العدوس يوسف، الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان-الأردن، 2007.

- إيفانكوس خوسيه ماريا يوثويلو ، نظرية اللغة الأدبية، تر:حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، القاهرة، 1992.

-بن يحي طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، دار القدس العربي،2014.

-بودوخة، مسعود، البلاغة العربية والمقولات الأسلوبية، مجلة الآداب واللغات، جامعة سطيف،ع2، 2015م.

-الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة-بيروت، 1421هـ، 2001.

-الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1404هـ.

-الجاحظ أبوعثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: درويش الجندي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ2005م.

-جيرو بيير، الأسلوبية، تر: عياشي منذر، ط2، مركز الإنماء الحضاري، 1994.

- خطابي محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006.

-خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، بحث في الأطر المنهجية والنظرية، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، لبنان، ط1، 1436هـ-2015م.

-الرماني علي بن عيسى ، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثالث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط،4 القاهرة، (د ت).

-الزيدي توفيق، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984

-الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالجيل، بيروت، 1408هـ1988.

-السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، د.ط، ج1، 2010

-سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط2، مؤسسة المختار، القاهرة، 2010م.

السعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق،ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006.

- الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، ط1، جامعة منوبة، كلية الآداب والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001.

-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط1، (د.ت).

-الشايب أحمد، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط12، 2003.

-الطرابلسي محمد الهادي، بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1988.

-عبد الجواد إبراهيم، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1996.

-عبد الواحد حسن الشيخ، البديع والتوازي، كتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ط1، 1419هـ-1999م .

-عزام محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989.
-عياشي منذر:
- الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 1436هـ-2015.
- العلاماتية وعلم النص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004.
-مقالات في الأسلوبية، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 1990.
-فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.
-فضل صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءته، ط1، دار الشروق، مصر، 1998- مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964.
-فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، سلسلة اللغويات الجرمانية، الرياض، 1999
-القرطاجني حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة ، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م.
-كوهن جون، النظرية الشعرية، ترجمة: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، 2000م.
-المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، بيروت، (د.ت).
-مصلوح سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985.
- مفتاح محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1992.
-النحوي عدنان علي رضا محمد، الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2003.
-ناظم حسن، البنى الأسلوبية: دراسة في (أنشودة المطر) للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م
- الوافي، محمد عبد العزيز، مجلة علامات" حول الأسلوبية الإحصائية"، ج42، مج 11، ديسمبر، 2001م.

فهرس المحتويات:

المحتوى	الصفحة
إفادة بتدريس مقياس الأسلوبية وتحليل الخطاب	
مقرر المقياس ومفرداته	
مقدمة	1
المحاضرة الأولى: مفهوم الأسلوب في الدراسات القديمة والحديثة	7-2
المحاضرة الثانية: الأسلوبية، مفهومها واتجاهاتها	13-8
المحاضرة الثالثة: الأسلوبية، نشأتها وتطورها	17-14
المحاضرة الرابعة: علاقة الأسلوبية بالبلاغة	21-18
المحاضرة الخامسة: الأسلوبية التعبيرية	25-22
المحاضرة السادسة: الأسلوبية الفردية	28-26
المحاضرة السابعة: الأسلوبية البنيوية	33-29
المحاضرة الثامنة: الأسلوبية الإحصائية	37-34
المحاضرة التاسعة: الانزياح	42-38
المحاضرة العاشرة: التوازي والإيحاء	52-48
المحاضرة الحادية عشرة: مفهوم النص	57-53
المحاضرة الثانية عشرة: مقاربة النص في الدراسات اللسانية	58-53
المحاضرة الثالثة عشرة: مقاربه النص في الدراسات النقدية (نظرية النص)	62-59